نور الايمان

عبد الكريم المدرس

١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الايمان اساساللأمان ،والاعمال الصالحة وسيلة لدرجات اهل الايمان والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين في آخر الزمان وعلى آله وصحبه الواصلين بصحبته اعلى مراتب الرضوان وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين.

وبعد:فهذه فوائد جليلة وفوائد جميلة في علم اصول الدين،مستخرجة من بحر كلمتي الشهادة،مؤلفة لتنوير قلوب الطالبين ورتبتها على مقدمة وبابين وخاتمة حسنى وافية بمقاصد المسلمين.

وسميتها (**نور الايمان واليقين**) وعلى الله نتوكل وبه نستعين:

اما المقدمة ففي بيان الايمان وعقيدة السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان من المحسنين.

واما الباب الاول ففي ايضاح ما اندرج في الكلمة الاولى من عقائد اهل الدين اعني الايمان بذات الله تعالى وصفاته وافعاله ذات الحكمة والتمكين، واما الباب الثاني فهوفي ايضاح مندرجات الكلمة الثانية مما اخبر به ﷺ الجامع لسائر اركان الدين، واما الخاتمة فهي في بيان امور يحسن الانتباه لها من المسلمين.

المقدمـــة

الايمـان هو التصـديق بجميـع ماجـاء به سيدنا محمد ﷺ مع التسليم اجمالا في ماعلم اجمالا وتفصيلا في ماعلم تفصيلا والاقرار به من القادر على التلفظ بكلمتي الشهادة ،اواما الاعمال فهي ثمرة الايمان،والدليل على ذلـك ان الذين آمنـوا ودخلوا في الاسـلام اعتبـروا مؤمنين وكثيـر منهم لم يدخل وقت مباشرة اعمالهم ، وإنَّ عطف الايمان على الاعمال وارد في كثير من الآيـات والعطف ظاهـر في المغـايـرة وانـه لودخلت الاعمـال في الايمان لاستلزم اعتبار ترك الحرام وفعل الواجب ولزم منه كفر من فعل حراما او ترك واجبا وذلك خلاف ظاهر الكتاب والسنة نعم اذا تحقق الايمان وتنورت به القلوب فلا شك انه يحرك صاحبه للعمل فترك مقتضى التكليف لايكون الا مع الايمان الضعيف .

وامـا الاكتفـاء في الايمان باقرار الشخص باللسان فلدلالته على وجود الايمان في القلب ظاهرا ،وقد قال ﷺ (نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر)[1] .

ولما كان الايمان بما جاء به الرسول ﷺ مستفاداً من الاقرار بالشهادتين اعتبر ذلك وفرض على من يدخل في الاسلام ان يقول:اشهد ان لا اله الا

(١) ذكر الاستاذ الشيخ ان هذا الحديث اي الذي ذكره في اصل الكتاب انما هو معنى الحديث الوارد في الصحيح ، وهو:

روى البخاري من حديث ابي سعيد رفعه : اني لم أومر ان انقب عن قلوب الناس .

وفي الحديث المتفق عليه من حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال : (انكم تختصمـون اليَّ فلعـل بعضكم ان يكـون الحن بحجتـه من بعض ، فاقضي له على نحـو ما اسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا .

الله واشهـد ان محمـد رسول الله.

وبيـان الاستفـادة ان معنى لا الـه الا الله هو انـه لا معبـود بالحق الا الله ، ولمـا كان المعبـود بالحق هو الخـالق لكـل موجـود لان غيـره لايستحق العبـادة له ظهر منه انه لاخالق الا الله ولما كان الخالق للخلق هو الذات الواجب لان الممكن المستوى وجوده وعدمه يحتاج الى خالق يخلقـه فلا يكـون خالقـا لغيـره ظهـر انـه لاواجب في الوجود الا الله، فاتضح ان معنى الكلمة الاولى لامعبود بالحق ولا خالق للخلق ولا واجب في الـوجـود الا الله المـوصـوف بالكمـال المنزه عن النقص

ومعنى الكلمـة الثـانيـة هو ان ،محمداً العربي القرشي الهاشمي ابن عبـدالله بن عبـد المطلب رسـول من الله الى الجن والانس ، والايمـان برسـالتـه يستلزم الايمـان بان جميـع مااخبـر به من رسـالة الرسل وانزال الكتب عليهم ووجـود المـلائكـة والقضـاء والقـدر ويـوم القيامة ، وغيرها حق ، فالشهادتان تفيدان الايمان بالاركان .

فظهـر ان الاتيـان بالشهـادتين كاف للايمان بوحدة الله وبسائر مايجب الايمـان به،ولا يجتمـع ذلـك مع الاشـراك مطلقـا،لان الايمان الشرعي في الاسـلام والاقـرار بالكلمتين من الانام اظهار لصفاء الدين المبين،والايمان المستفاد من قوله تعالى ﴿ومايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾[1] ايمان لغـوي بمعنى الاذعـان الخـالي عن التـوحيـد،لانـه نزل في قوم مشـركين يجمعون مع الاقرار بالله عبادة اوثانهم والوهيتها .

قاله الحسن ومجاهد وعامر واكثر المفسرين ، وصرح به السعد العلامة في شرح العقائد النسفية .

---

(١) آية (١٠٦) سورة يوسف

ثم ان عقيدة السلف كانت مستفادة من الكتاب والسنة النبوية في عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم وقسم من عهد التابعين الى ان ظهرت فآلية[1] الافاعي.وجالية الأهواء والأوهام في حلقة درس الامام الحسن البصري رضي الله تعالى عنه من واصل بن عطاء فطرده الامام وقال: قد اعتزل عنا ، فذهب يزداد في غيه ويرغب الناس في رأيه ، والعلماء يردون عليهم الى ان نشأ الامام علي بن اسماعيل المكنى بأبي الحسن، المشهور بالاشعري، لانتسابه الى جده التاسع ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ، وذلك في سنة ثلثمائة ونيف من الهجرة وكان العصر عصر ابي علي الجبائي المعتزلي، فرد عليه وعلى اتباعه وسلفه من الاعتزاليين، واتى بالادلة الواضحة اللائحة من ظواهر الكتاب والسنة، ونشر عقيدة الاصحاب الكرام بين الانام عداءً لاهل البدع والاهواء، وهاجر الى بغداد وتبعه المسلمون واطمأنوا لدروسه وتعليماته، فعاد لعقيدة اهل السنة

---

(١) اي حركة الافاعي.

سناؤها وظهر صفاؤها، والف نحو خمسين مؤلفا نافعا[1]، فصار مجددا للدين المبين في مطلع القرن الرابع، وقد اشتهرت عقيدته هذه بالعقيدة الاشعرية واتباعه بالاشاعرة.

كما ظهر في مثل التاريخ في بلدة سمرقند الشيخ ابو منصور الماتريدي، نسبة الى قرية (ماتريد)، واجتهد وجاهد ايضا في نشر عقيدة السلف الصالحين في تلك البلاد وكثرت اتباعه واشتهروا بالماتريدية، فجزاهم الله تعالى عن المسلمين خيرا، ومن ذكرها بغير الخير فانه من القوم المغضوب عليهم لا من الغير، وان كنت في ريب من هذا التشريف فانظر الى مالهما من التأليف.[2]

---

(١) و(٢) ذكرت هذه الترجمة كي يعرف المحبون والمخلصون والصادقون من ابناء هذه الامة اسلافهم والذين كانوا جبالا شامخة رست بها عقائد الاسلام، واودية واسعة انضمت فيها امة الاسلام، وعيونا صافية هدارة تنهل من ماءها الرقراق القلوب الظمئى وتنبت على ضفافها اشجار الايمان بضلال وارفة، ولازالت انفاسهم المواجة تعيد في حنايا الصدور روح الايمان ورقة العاطفة وبرد اليقين.

وهنا احببت ان اذكر ترجمة عن واحد من تلك القلاع الاسلامية الذين تهشمت دون حصونه ظلمات الاهواء ونزعات الشيطان، ذلك هو الامام ابو الحسن الاشعري، واذكر هنا كلمة قصيرة للاستاذ الشيخ ابي الحسن الندوي لقيمتها واهميتها واترك بقية الترجمة الى آخر الكتاب.

قال: كان الاسلام في حاجة الى عملاق في العلم والعقل، يتضاءل امامه حملة راية العلم والعقل في عصره، كما يتضاءل الاقزام، وكما يتضاءل التلاميذ الصغار امام استاذ نابغة وامام كبير. لقد كان الاسلام في حاجة ملحة الى هذه الشخصية الرفيعة القوية، ووجدت هذه الشخصية المطلوبة في شخص ابي الحسن الاشعري. ١٤٨ رجال الفكر والدعوة.

وذكر المؤلف في كتابه هذا ان الامام ابا الحسن كان مجددا للقرن الثالث. وسأذكر في آخر الكتاب ترجمة للامام ابي منصور الماتريدي.

وانما نبهت عليها لانهما كانا من اهم الوسائل لاحياء عقيدة المسلمين على ماكان في عهد الرسول ﷺ واصحابه رضي الله تعالى عنهم فيجب شكرهما على تلك الانعام، الا ترى ان الله تعالى امر بشكر الوالدين عطفا على شكر ذاته على نعمة التربية والرعاية فقال تعالى: ﴿ان اشكر لي ولوالديك﴾[1] وقال ﷺ: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)[2] والحديث صحيح، فعليه ينبغي شكرنا لكل من ابدى لنا قدسية الشعور واهدى الينا قبسا من النور، وافضلهم الحبيب سيدنا محمد ﷺ الذي كان وسيلة

---

(١) آية (١٤) سورة لقمان.

(٢) رواه ابوداود جـ٤/٢٥٥/٤٨١١ واحمد جـ٢/٢٥٨/٢٩٥/٣٠٢/٣٠٣/٤٦١/٤٩٢. من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن ابي هريرة. وفيه زيادة (.. عز وجل).

ورواه في جـ٣/٣٢/٧٤. من طريق ابن ابي ليلى عن عطية العوفي، عن ابي سعيد الخدري. في جـ٣/٣٢ باللفظ المذكور.

ورواه في جـ٤/٢٧٨/٣٧٥ من طريق منصور بن ابي مزاحم ثنا ابووكيع الجراح بن مليح عن ابي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير. وفيه زيادة (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب).

ورواه عن الاشعث بن قيس جـ٥/٢١١/٢١٢ من طريق وكيع عن سفيان عن سلم بن عبد الرحمن عن زياد بن كليب عنه. بلفظ (لايشكر الله من لايشكر الناس).

ومن طريق آخر: ثنا بهز ثنا محمد بن طلحة بن مصرف عن عبدالله بن شريك العامري عن عبد الرحمن بن عدي الكندي عنه. بلفظ (إنَّ أشْكَرَ الناس لله عز وجل اشكرهم للناس).

ومن طريق آخر: ثنا محمد بن فضيل عن ابن شبرمة عن ابي معشر عنه بلفظ (لايشكر الله من لايشكر الناس).

ومن الطريق الذي ذكره ابوداود رواه الترمذي ايضا بلفظ آخر وقال: هذا حديث صحيح جـ٣/١٣٢ بهامش تحفة الاحوذي. ط الهند.

ورواه الطبراني من طريق. حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن جرير. جـ٢/٣٥٦/٢٥٠١. المعجم الكبير.

لاخراج الناس من الظلمات الى النور، ثم اصحابه الكرام الذين سقوا بمياه مساعيهم شجرة الايمان في الصدور، ثم الائمة المجتهدون الناشرون لاحكام الاسلام اعتقادا وعملا، ثم الاساتذة الصالحون الذين تنورت القلوب بدروسهم وانوار نفوسهم مدى الايام، فان الاسلام دين الوفاء ورعاية الحقوق لادين الجفاء والعقوق، فاليكم ماتلوته عليكم.

والله ولي التوفيق...

البـــاب الاول
في معنـى الكـلمـة الاولـــى
وفيــه فصــول

الفصل الاول

في وجود الصانع للعالم

قال تعالى: ﴿سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾[1].

من تفكر في نفسه وماشتمل عليه شخصه من الاجهزة الدقيقة والقوى العاملة النافعة اللطيفة المودعة في رأسه وماحواه من خريطة الدماغ ومايتفرغ منه الى السمع والبصر والانف والفم والاسنان واللسان والحنك والبلعوم والحلقوم ثم نزل الى الصدر والقلب والجنب والاضلاع وماحوته من الكلية والكبد والطحال والمرارة والمعدة وماوراءها من الامعاء وسائر ماهنالك، ثم تفكر في تركيب جسده من العظام والغضاريف والاعصاب واللحوم والدماء الصافية المتكونة بكيفية دقيقة وجريانها وتوزيعها الى اجزاء الجسد في المجاري اللطيفة الرقيقة، ثم امعن فيما أودع في قوة الفكر وخُدّامه من الاحساس والتخيل والتوهم والتعقل الحاصل بالعقل وتصوراته ومراتب تصديقه من الظن والتقليد والجهل المركب واليقين وماتتصف به من الحياة والعلم والشجاعة والغيرة والجبانة والامانة والارادة والقدرة والحب والبغض والكراهية واللذة والالم والنشاط والكسل والعجز والملل والقبض والبسط والانشراح والاحزان والافراح وماشاكلها، ودقق النظر في امتيازه بتشخصيات معينة من الشكل والطول والقصر ولوامح الوجه والبصر واللون والقيافة والخطوط البدنية حتى على الكف والانامل

---

(١) آية (٥٣) سورة فصلت.

والبنان ونبرات صوته من الخشونة والحنان وكبقية الامتياز الواصل الى حد الاعجاز تعجب جدا فيما أُودِع فيه من اسرار الابداع وتحير واندهش وتشوش وتنبه بالاخرة وتوجه الى الايمان بالصانع العليم الخبير القدير البصير. هذه من ناحية النفس.

واذا نظر الى الآفاق من الصحارى والوهدات والوديان والاطلال والجبال وماخلق فيها من المعادن والعيون والانهار واصناف الاشجار والنباتات الماكولة وغيرها والازهار المعجبة للانظار ومايعيش من الحيوانات الانسية والوحشية السليمة المسالمة والضارية الظالمة والحشرات السمامة وفيها انظمة خاصة يتحير منها العقلاء، واذا نظرت الى البحار ومافيها من الحيوانات وانواع الاسماك والطيور والجواهر واللألي وسائر المنافع سَبَحْتَ في بحر خيالك الواسع وسبَّحت ربك الصانع.

واذا رفعت الرأس الى الهواء وتموجها وانواعها وآثارها وبرودتها وحرارتها وهياجها والى السماوات ودققت النظر في الاثير والبرق والنجوم الشارقة والسيارات البارقة وتفكرت في حركات السيارات حول اقطارها ودورانها على مداراتها وموازينها المستمرة والجواذب الموجودة فيها ونظرت الى الشمس ذات الاشعاع وعلمت زيادة حجمها على كرة الارض بنحو مليون ، والى كوكب الشعرى التي يقال انها تزيد حجما على الشمس كذلك وترى صغيرة لبعدها عنا واذا نظرت الى المجرة كحزام للفلك او اختلاط انجمها كخطوط القوافل المزدحمة المتلاحمة ودوام نظامها باستمرار القرون تقف وقفة الانسان الفلكي البارع في علمه الواسع مناديا اصحاب العقول السليمة والافكار المستقيمة: ايها الناس (افي الله شك فاطر السموات والارض)[1]؟ فيجيبونه بالقول الجامع للعقل والشعور

---

(١) سورة ابراهيم آية (١٠).

(الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور)[1]

واذا اردت الادلـة التي تزيـدك بصيـرة في العلم بوجـود الله تعالى فخذ الادلة التالية:

(الاول): انـه لايخلو الحـال عن ان يكـون جميـع اجـزاء هذا العالم واجب الـوجـود او ممكن الوجود او بعضه واجبا وبعضه ممكنا. والاحتمال الاول باطـل، لقبـول اجـزائـه المشهـودة للفنـاء، فكم من جبـال تدمرت ووهـدات تغيـرت ومياه تبخـرت. وكـذلـك الاحتمال الثالث، اذ لا مزية لبعض الاجـرام على بعض بعـد تركيبهـا من الجـواهـر المتمـاثلة، فبقي الاحتمـال الـوسـط، وهـو ان الكل ممكن الوجود،اي يستوي وجوده وعدمه بالنظر لذاتـه، ولا شبهـة في ان ماستـوى وجوده وعدمه محتاج الى صانع يرجح وجوده على عدمه.

(الثاني): ان كل ماشـاهـدنا وتتبعنا حاله وجدناه اضعف من الانسان لامتيـازه بالعقـل المتطـور الذي يستولي به على غيره، ووجدناه عاجزا عن حماية نفسه من الاجل او من الضعف المانع عن العمل ومن لم يقدر على محافظة نفسه كيف يقدر على ابداع نفس لغيره ﴿**ياايها الناس ضرب مثل فاستمعـوا له إنَّ الـذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإنْ يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾[2]:

(الثالث): ان العالم باجزائه بارضه ومائه وهوائه وسمائه وشمسه وقمره ونجـومـه وكـواكبه نجده مسخرا للعمل والخدمة،ولكل بعض وظيفة خاصة يستفيد منها البعض الآخر،والعقل السليم لايقبل ان يكون الخادم المسخر

---

(١) آية (١) سورة الانعام.

(١) آية (٧٣) سورة الحج.

للطاعات خالقا للارض والسموات .

(الرابع) : ان لهذا العالم نظاما مملوء من الحكمة،والاتقان وذلك معلوم لاهل الفكر من الانسان،وذلك النظام محتاج الى صانع حكيم مسيطر على رعايته وادامته،لان أيّ سيارة خرجت عن مدارها تمزقت واية مجموعة لم يكن عليها قوة تفرقت وذلك الصانع لايجوز ان يكون فاعلا بلا قدرة وشعور فان النظام لايحصل من اللاشعورية فوجب الايمان بالصانع الحي والعالم القادر ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1] والقول بانها الطبيعة من اغلاط الطبيعة، لان المراد بها ان كان نفس العالم اي انه هو بنفسه اثر في نفسه ومايحصل منه لزمه ان يقول انه قبل ان يوجد كان موجودا فاوجد نفسه وابدع نظامه وحرسه، وذلك من المستحيلات، وان كان المراد بها قوة عارضة للعالم فهو افسد من الاول، لان القوة صفة تحتاج الى الموصوف، فكيف تؤثر في الموصوف ونظامه المعروف، وان كان المراد بها قوة خارجة عن العالم موصوفة بالكمال فهو المطلوب وهو الرب المتعال ، ونعم ماقالوا هنا:

طبيعة طائشة لاتعقل ابداعها لغيرها لاينقل
فصانع العالم حي عالم في لحظة عن خلقه لايغفل

والحق ان وجود الصانع العالم القادر المختار لهذا العالم بديهي عند صاحب العقل السليم، فان دلالة الآثار على المؤثر من باب البرهان، والله هو الهادي للعباد الى الحق والرشاد والامان .

(تنبيه) لا اعتبار بما يقوله بعض الناس من انا لانعرف حقيقة الاله والازلية والابدية فكيف نصدق بوجوده. وذلك لانهم لايعرفون حقيقة

(١) آية (١٤) سورة تبارك .

ارواحهم مع انهم يعلمون انها موجودة للفرق بين الاحياء والاموات .

ومثلهم كمن يدق احد الباب عليه ويقول لا اهتم بدقه لاني لااعرف الشخص الذي يدقه،اذ بامكانه ان يذهب ويفتح الباب ، وهذا البعض يمكنه ان ينظر الى الآثار ويفتح حجاب الغفلة عن قلبه ليدرك بالبصيرة وجود الحي القيوم ، نعم انه تعالى لايكتنه،لان عقولنا وقواها محدودة متناهية والشيء المحدود المتناهي لايدرك حقيقة اللامتناهي،ولا يدل ذلك على عدم الاشياء البعيدة عنا ، وهو ظاهر،كما ان احساس البصر على قدر قوته وعدم احساسه بالاشياء الغائبة ظاهر، فقل في الايمان بالله تعالى الظاهر بالآثار والباطن ذاتا: اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما ومااانا من المشركين . . .

الفصل الثاني
في صفاته تعالى

والسلبية[1] منها خمس تدل عليها النصوص، وهي الوحدة والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث والاستغناء عن الغير، ومعناها عدم التعدد وعدم سبق شيء عليه وعدم عروض الفناء وعدم مماثلة الحوادث وعدم احتياجه الى الغير باي وجه من وجوهه.

والثبوتية[2] هي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وقد رمز الى تلك الصفات بالحروف الاوائل من المصرع الاول من البيت الاول وبجملة جميلة في المصرع الاول من البيت الثاني من هذين البيتين:

قد برقت وحدة ملك ألأوّلي — كالشمس اذ تطلع فوق الجبل
(احق سبعك) القديمة التي — لازلت موصوفا بها من ازل

والدليل على وحدته تعالى نقلا نصوص كثيرة:

قال تعالى (**والهكم اله واحد**)[3] وقال (**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**)[4].

---

(١) الصفات السلبية: سلبية في المعنى وان كانت ثبوتية لفظا اي انها تثبت مافي لفظها من حيث الوضع. فلفظ البقاء دال على صفة وهي ـ البقاء ـ ودال على نفي الفناء الذي هو ضد البقاء.

(٣) آية (٦٣) سورة البقرة.

(٤) آية (١٦) سورة غافر.

وعقلا ادلة قطعية :

(الاول) انه لو وجد الهان لكانا كاملين او ناقصين او احدهما كاملا والاخر ناقصا، والناقص لايستحق الالوهية، والكامل هو المكتفى به وحده.

(والثاني) انه لو كان آلهان كاملان لامكن التمانع بينهما ولو امكن التمانع لزم المحال.

اما المقدمة الاولى فلان امكان التمانع من مقتضيات وجود الآلهين الكاملين، وحينئذ لاشك يمكن ان يريد احدهما وجود شيء والآخر عدمه.

واما المقدمة الثانية فلانهما ان توقفا عن التأثير لزم عجزهما معا،وان توقف احدهما وعمل الآخر لزم ان يكون العامل غالبا والعاطل عاجزا، وعجز الآله محال فتعدد الآلهة الكاملة محال.

(والثالث) انه لو وجد آلهان لامكن ان يريد احدهما وجود شيء والاخر عدمه، فان تحققا لزم اجتماع وجود الشيء وعدمه، وان انتفيا لزم عجزهما، وان تحقق احدهما دون الآخر لزم ان تنحصر الالوهية في الذي وجد مراده وعجز الآخر.

واذا مشينا على المعتاد من اقتضاء التعدد والتمانع. نقول لو كان في الوجود آلهة لتمانعوا، ولو تمانعوا بان يريد بعض نظاما وآخر غيره لزم فساد السماوات والارض وعدم بقائهما على النظام الثابت، وقوله تعالى ﴿**لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا**﴾[1] مبني على ماهو الغالب من التمانع عند التعدد، ويمكن حمله على ماقررنا قبل، بان يقال لو كان فيهما آلهة الا الله لامكن التمانع بينهما ولو امكن التمانع امكن

(١) آية (٢٢) سورة الانبياء.

عجزهما ولو امكن عجزهما لزم ان لايكون شيء منهما الها فلم يوجد خالق للعالم ولم توجد السماوات والارض وهذا هو المراد بفسادهما.

واما الدليل على قدمه تعالى فلانه لو كان حادثا لكان له محدث،ولزم احتياجه اليه،فلم يكن الها.

واما البقاء فلان القديم يمتنع عدمه.

واما عدم مماثلته للحوادث فلانه لو كان له مماثل لعرض عليه مايعرض على مثله وعرض على مثله ماعرض على ذاته،فلزم انقلاب الواجب ممكنا والممكن واجبا، فاذا امتنعت المماثلة امتنع ان يكون الواجب تعالى جوهرا او جسما او عرضا او مستقرا في حيز او مكان لا في الارض ولا في السماء ولا فيما ورائهما.

ولا يمكن ان يكون له جهة من الجهات لاختصاصها بما يحيط به حدود.

فما ورد من آيات الصفات والسنة النبوية من نسبة الوجه والعين واليد والاصبع والجنب والقلب والاستواء الى السماء او على العرش فكله كناية عن نحو الغلبة والاستيلاء، وشمول العلم والقدرة والمراقبة الكاملة حسب محاولات اهل العرف العام وليس من المتشابهات،كما افاده الامام الغزالي رحمه الله، وعلى فرض كونها منها وجب تأويله بما يصلح للواجب او تفويضه الى العليم الخبير مع الايمان بثبوت المعاني المناسبة السالمة له تعالى، ولا يجوز الانحراف عن احد هذين الوجهين.

والقول بوجوده تعالى في السماء او استوائه على العرش كالقول بوجوده مع كل انسان في قوله ﴿وهو معكم اينما كنتم﴾[1] فاذا أُوِّلَ هذا وجب

---

(١) آية (٤) سورة الحديد.

تأويل ذلك، والا فأين كان الذات قبل العرش والسماوات.

والقول بقدم السماء والعرش من اخطاء اهل الفرش، وذلك خطأ عظيم.

واما استغناؤه عن غيره فلان الافتقار احتقار،وهو مستحيل على الواحد القهار.

ونحن اهل السنة نقول:

انا علمنا الذات ذا وجود مهيمن عز عن الحدود

وعجزنا عن دركه بكنهه لنا كمال وافر لاينتهي

وحسبنا علم شريف انجلى بواجب الوجود جل وعلا

ولا تمل للجوهر المجرد ولا لبرق او اثير شارد

فانه الطف من خيالنا فما لكم علم به ولا لنا

واما حياته تعالى فلان الموت أخو العدم المحتوم لايليق بالله الحي القيوم.

واما علمه تعالى فهو صفة كاشفة للمعلومات كلية او جزئية. مفهوما او مصداقا،أزلا وابدا لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر، وليس مختصا بالجهريات فانه يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور، وليس علمه تعالى حصوليا كعلم الكاسب، بل حضوري لازم لذاته الواجب،وكفى في اتصافه بكل المعلومات علمه بذاته الكامل فانه يعلم انه هو المبدء لكل شيء مقصود وخالق لكل موجود،وهذه الصورة العلمية عين علمه الازلي المحقق لايختلفان الا بالاعتبار، فملاحظة الجزئيات المفصلة حتى يجري فيها التطبيق بعيد عن اهل الفضل والتوفيق.

كما ان علمه تعالى ليس قابلا للذهول عن بعض المعلومات او نسيان له،

فانهما من النقصان ولا يناسب الخفاء والغياب. فان اشعاع علمه الازلي يتلالىء الى مالايزال في الماضي والحال والاستقبال اي بالنسبة الينا، والا فلا ماضي عنده ولا حال ولا استقبال، فان اعتبار الزمان لغير الزماني محال.

واما أرادته تعالى فهي صفة تقتضي تخصيص احد المقدورين بالوقوع حسب علمه بالحكمة، كتخصيص الجائع احد الرغيفين المتساويين من كل جهة بالتناول، والسالك احد الطريقين المتساويين بالسلوك،وهذا الترجيح لايحتاج الى ترجيح اخرى،وكفى مرجحا علمه بالخير فيه.

واما قدرته فهي صفة تؤثر بايجاد ماعينته الإرادة في الازل حسب علمه بالحكمة في وجوده في الزمان والمكان المعنيين، ولما كان تأثير القدرة تابعة للارادة المتابعة للعلم بالحكمة البالغة لايبقى مجال للسؤال عن وجه تعلق الارادة باحد الجانبين وتنفيذ القدرة لذلك المرجح، لان الأثر تابع للإرادة التابعة للعلم كما قلنا ولا نقص في شيء منها، على انه لوغير المجرى لعاد السؤال كما تسمع وترى، ولذلك لايسئل عما يفعله فالعلم الازلي سوّى جدولا للتعليقات اللايزالية يسوي المرادات كلا في وقته واليه يشير قوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾[1] فان كان المراد من اعمال ذاته الجليل فذاك، وان كان من مكسوبات العباد فيكون قدر تعلق قدرته به تحقيقا لما تعلق به علمه الازلي الحاكي عن صرفهم اختيارهم له، فان الباري تعالى له العلم بافعال العباد وهو مرآة كاشفة لما يتوجه اليه اختياراتهم فلذلك قال تعالى ﴿وهم يسئلون﴾[2].

---

(١) آية (٢٩) سورة الرحمن.

(٢) آية (٢٣) سورة الانبياء.

واما صفة السمع له تعالى فهي قوة تتعلق بالمسموعات عند وجودها فتكشف المسموعات من الاصوات ونبراتها المتمايزة اينما كانت،حتى يسمع اصوات ارجل النملة كما يسمع الفارس صوت قوائم فرسه اذا ركض به في صحراء صخرية ويسمع دعاء المضطرين،إنَّ ربي لسميع الدعاء.

واما صفة بصره فتتعلق بالمبصرات كبيرة او صغيرة ذرة فما دونها، ولا يمنع ابصاره تعالى لها كونها في غيابة الجب اووراء الحجب،فالغيب والشهادة بالنسبة اليه متساويان فالسمع والبصر امران ممتازان عن الادراك الحاصل بالعلم، فهما صفتان ورد بهما الكتاب ونؤمن بظاهره وهو الصواب.

واما صفة الكلام فثابتة، له تعالى باجماع الامة، وقد تواتر النقل عن الرسل الكرام عليهم السلام أنَّ الله تعالى متكلم، مع القطع باستحالة التكلم له تعالى من غير ثبوت صفة الكلام له تعالى.

فهل الكلام الثابت له صفة نفسية قائمة به تعالى وهي من غير جنس الحروف والاصوات لكنها منشأ للكلام المعلوم واللفظ الملفوظ المرسوم، او انه عبارة عن الكلمات القديمة المعلومة له ازلا، او انها الكلام المنقوش برقومه في اللوح المحفوظ أو الملفوظ الذي نزل به جبريل عليه السلام على الرسل الكرام؟

والحق الذي يجب تقريره هو ان لفظ الكلام مشترك بين الامور الثلاثة ويطلق على كل منها حقيقة..

اما على الاول فلان تلك الصفة النفسية كمال له تعالى وعدمه نقص، لانه خرس نفسي وعجز عن ملاحظة المفاهيم اللائقة بالالقاء والتنزيل.

واما الثاني فلان اطلاق الكلام عليه شائع عند الادباء والخطباء، قال

الاخطل:

ان الكـلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال عمر رضي الله عنه: (اني زورت في نفسي كلاما)[1].

وتقول لصاحبك: إنَّ في نفسي كلاما اريد ان اذكره لك.

واما الثالث فلان المرقوم في اللوح المحفوظ والمنزل به جبريل عليه السلام والمتحدى به من الرسول الجليل هو ذلك الكلام اللفظي، وانكار كونه كلام الله تعالى كفر وخروج عن الاسلام.

ثم لاشك ان الصفة النفسية التي ليست من جنس الحروف والاصوات قديمة وكذلك الكلمات الموجودة في علم الباري تعالى التابعة لكلامه النفسي، لانها معلومة للباري تعالى ازلا ككلام سائر المتكلمين، ولا معنى للقول بحدوث مارقم في اللوح ونزل به جبريل عليه السلام على الرسل الكرام بعد ان علمنا يقينا انها هي التي كانت في علمه تعالى ازلا.

فان قيل نحن لانعترف بالكلام النفسي ونقول ان كلامه تعالى عبارة عن الالفاظ المنزلة مع جبريل عليه السلام.

قلنا: انكار الكلام النفسي يوجب الخرس النفسي وهو نقص لايجوز في حقه تعالى، وثانيا انكم معترفون بان كلمات الله تعالى معلومة له ازلا وتبقى في علمه ابدا، فلا بد ان تكون تابعة لأصل يناسبها، كما ان المعلومات تابعة للعلم والمرادات تابعة للارادة والمقدورات تابعة للقدرة والمسموعات للسمع والمبصرات للبصر فكذلك الكلام اللفظي تابع

---

(١) حديث: كنت قد زوّرت مقالة اعجبتني اردت ان اقولها...)

هذه قطعة من حديث طويل رواه الامام احمد

رواه الامام احمد جـ١/٥٦.

لصفة الكلام النفسي القديم وهما قديمان.

فان قيل:

سلمنا ذلك ونحن نعترف بصفة الكلام النفسي، ولكن نكتفي بها الى وقت انزال الآيات الى الرسل، والقدرة على الانزال موجودة وحسبنا ذلك.

قلنا: مادام الاعتراف ثابتا بوجود الكلمات في علمه الازلي فهي موجودة في مرتبة الارادة والقدرة والعلم، ولما لم تكن تابعة للارادة والقدرة والعلم وجب تبعيتها للكلام النفسي وكونها ازلية معها، فهي عبارة عن صورة الالفاظ التابعة لها فقط، وكما ان المرادات والمقدورات معلومة له تعالى وليست ناتجة من العلم ولا تابعة له فكذلك الالفاظ الناتجة من صفة الكلام النفسي معلومة له تعالى وصورتها العلمية قائمة به وهي ليست تابعة له بل تابعة للكلام النفسي،وتلك الكلمات عبارة عن جميع مانزل على الانبياء الكرام وما الهموا به، ومثلها الاحاديث القدسية النازلة على الرسول سيدنا محمد ﷺ، وكذلك كل كلام ملقى منه تعالى الى الملائكة والانس والجن ممن يناسبهم الالهام والتربية، ويشير الى ذلك قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أنْ تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾[1].

فاعلموا هذه الامور واشرحوا بها الصدور وتيقنوا ان صفات الباري تعالى لاتوافق صفاتنا الا في الاسم فان صفاتنا حادثة وتقبل القوة والضعف والفناء وحياتنا تحتاج الى البنية والاجزاء وعملنا يحتاج الى المخ والدماغ والقلب ووسائل الضبط لمعلوماته وارادتنا التابعة له كثيرا ماتقع في خطأ التخصيص لغير ماينفع ويفيد وسمعنا وبصرنا يحتاجان الى مواد وحجب

---

(١) آية (٦٢) سورة الزمر.

(١) - آية (١٠٩) سورة الكهف.

لطيفة واعصاب، وصفات الباري تعالى ليست كذلك فانها قديمة وباقية ولا يرد عليها الضعف ولاتقبل المعونة من الغير، فآمنوا بان الصفات الكمالية ثابتة له تعالى بدون حاجة الى اي شيء، ولا تظن ان الكلام بدون اللسان والالات ممتنع فان المسجلات تضبط الكلام والكلمات والاصوات والنبرات واذا سمعت هاتفا يناديك من السماء فلا ترى انسانا يحرك لسانه، ولا تحتاج حياته تعالى الى اجزاء ولا ارادته الى دافع غير الادراك ولا قدرته الى اسباب توجب الحركة ولا علمه الى مخ ودماغ ولا سمعه الى صراخ ولا ابصاره الى العروق الواردة في خريطة الرأس ولا الى حدقة واجفان ولا كلامه الى هزة حلقية او تصويب من الحلق الى اللسان، ويشير الى ذلك قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾[1].

توجيه للمسلمين الاذكياء الى فائدة جليلة

وهي انا معاشر المؤمنين.. نعتقد بجميع الصفات السلبية والثبوتية لذاته تعالى ونعتقد انها من لوازم الذات الواجب الوجود كالفردية للواحد، ولا يتصور الذات الموصوف بالكمال بدونها كما لايتصور تلك بدونه، وهذا المعنى هو الذي افاده الامام ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه اصحابه.

واما الذي اشتهر بين المحصلين من ان الصفات لا هو ولا غيره، وان كان صحيحا على ارادة انها ليست عين الذات الواجب ولا غيرها بقصد تفسير الغيرين بموجودين يجوز انفكاك كل عن الآخر فهو من عبارتهم لا من عبارة الامام رضي الله عنه.

---

(٢) آية (٩٦) سورة الصافات.

(١) ـ آية (١١) سورة الشورى.

فاذا ظهر لنا ذلك المعنى السليم فلا نتكلم بعينية الصفات ولا بغيريتها لكونها من فضول الكلام ودسائس الاوهام، فان حقيقة الصفات من لوازم الـذات كمـا علمت وليست ذوات حتى يلزم تعدد القدماء، فخذوها وكونوا من الشاكرين.

الفصل الثالث
في افعاله تعالى

ويجب هنا الايمان بامور:

الاول: ان كل حادث في العالم فهو من اثر تأثير الباري ومن خلقه وايجاده، سواء مالم يكن فيه علاقة الغير، كخلق الارض والسماوات ومافيهما وماعليهما، او وجدت فيه علاقته كالافعال الاختيارية للانسان كالقيام والقعود والركوع والسجود والاكل والشرب . . والبطش والضرب.

والدليل على ذلك نقلا آيات:

كقوله تعالى ﴿**الله خالق كل شيء**﴾[1] وقوله ﴿**والله خلقكم وماتعملون**﴾[2].

وعقلا ادلة كثيرة ايضا منها:

انها لولم تكن مخلوقة لله تعالى لكانت مخلوقة للعباد، ولوكانت مخلوقة لهم لكانوا عالمين بما يحتاجون اليه في ابداعها من مد الاعصاب وتحريك العضلات ومقدار مسافة الخطوات وغير ذلك من الاحوال، واللازم باطل. وليس ذلك الا لجهلهم بها، وليس الجهل من الذهول لانهم لو سئلوا وتعمقوا النظر فيها ماوصلوا الى العلم بها.

ومنها انها لو كانت بخلقهم لوجدت على احسن مايرومه ويقصده مع ان الامر بخلاف ذلك.

---

(١) - آية (٦٢) سورلاة الزمر.

(٢) - آية (٩٦) سورة الصافات.

ومنها انه لو كان خالقا لها لعلم نتائجها ومايحصل منها ولو على وجه الاجمال.

والثاني: ان الاعمال الحادثة من العباد فيها دخل لمقاصدهم ومكاسبهم، يعني ان كسب العبد شرط اعتيادي لخلق الله تعالى له ذلك الشيء، والا لم يكن لترتب الثواب والعقاب عليه وجه معلوم، وذلك الدخل بديهي، للفرق الواضح بين حركة الانسان الى مايريده وبين ارتعاشه وتزلزل اعصابه بالصورة الاضطرارية وبين التوجه الى المرغوب والتولي عن المرهوب.

وذلك الكسب مفسر عند الامام ابي الحسن رضي الله عنه بان الله خلق العبد حيا للحس والحركة وعالما بالامور النافعة والضارة وحائزا لقوة الميل والشوق الداعية الى الملذات والمرغوبات والدافعة للمكروهات.

وهذا الميل يبعثه الى توجهه نحو الخير عنده وتنفره عن الشر وخلق فيه قدرة يصرفها الى المراد وينجزه لولا وجود مانع لها ولكن الله تعالى لما استأثر ذاته الفعال بخلق الذوات والاعمال فهو يخلق له ذلك المراد ولايخلي العبد يوجده، فكون العبد محلا لما ذكرنا كاف في نسبة الكسب اليه ويثاب ويعاقب عليه.

وعند الامام ابي منصور الماتريدي رضي الله عنه الكسب عبارة عن توجيه العبد قصده الى مراده، وذلك موكول اليه، فقد قال تعالى **﴿لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾**[1] وقال **﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها﴾**[2].

---

(١) آية (٢٨٦) سورة البقرة.

(٢) آية (١٥) سورة الجاثية.

والثالث: ان كل مكسوب للعبد لما كان مخلوقا لله تعالى كان داخلا في إرادته لانه لايجري في ملكه الا مايشاء وكل ماخلقه وشاءه نافعا او ضارا وخيرا او شرا للعباد،ففعله منه تعالى حسن والرضاء به من حيث أنه فعله واجب.

ووجوده بارادة الباري وايجاده حسب علمه لايخرجه عن كونه اختياريا للعبد لان الله تعالى اوجده حسب ارادته، وارادته له بحسب علمه في الازل باحوال العبد فيما لايزال، يعني انه تعالى يعلم في الازل ان عبده الفلاني بعد تزويده بالعقل والحواس وتأييد عقله بارشاد الرسول والتوجيه المعقول يختار الجانب المرغوب لله او المكروه عنده، فيكون علمه الشامل مرآة لكل مايريده العبد ويختاره، فيتعلق علم الباري تعالى وادارته وقدرته بذلك العمل على ذلك الوجه فان كان خيرا فذاك وان كان شرا فلا يلومن الا نفسه..

والامر الرابع: الايمان بان الله متفضل بالخلق والايجاد وليس فعله بوجوب او بايجاب،لانه هو الخالق لكل شيء،فما هو الواجب عليه ومن الذي يوجب عليه،غير ان افعاله متقنة محكمة فانه احكم الحاكمين.

ومن افعاله التي مَنَّ بها على عباده الهداية الى الحق ومايرضى به،كما ان من افعاله اضلاله لمن شاء ضلاله،على معنى خلق الهداية والضلال، اما الهداية بحقه بيان طريق الحق والدعوة اليه فيجوز نسبته الى القرآن كما قال تعالى: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم﴾[1] والى الرسول كما في آيات،وكذا مقابلها اعني الاضلال بحق الدعوة الى طريق الضلال فانه ينسب الى الشياطين من الانس والجن كما قال: ﴿وان تطع اكثر من في

---

(١) آية (٩) سورة الاسراء.

الارض يضلوك عن سبيل الله﴾[1].

ولكنـه ممـا يجب ان يعلم ان الله رؤوف رحيم لايضيـع عمـل عامـل ولاسعي ساع ولا ايمـان مؤمن، فيقـول: **﴿ان هذا كان لكم جزاء وكـان سعيكم مشكـورا﴾**[2]، ويقـول: **﴿ومـاكـان الله ليضيـع ايمانكم﴾**[3] فلم يضـل ولن يضـل أحدا الا انتقـاما في مقابلة عناده واستكباره وعدائه للحق واستمـراره على الفسق، قال تعـالى: **﴿ومايضل به الا الفاسقين﴾**[4] فمن اجـاب دعـوة الحق وارشاد الرسول ومواعظ ورثته من العلماء العاملين فقد اهتدى ونجا،ولا يضل قطعا، وهذه سنة الله تعالى في عباده ولن تجد لسنته تبديلا.

والامـر الخـامس: انـه يجوز لله تعالى ان يكلف عباده بما يطيقون وما لايطيقون، ولكنه لم يكلف احدا بما لايطيقه فقد قال **﴿لايكلف الله نفسا الا وسعهـا﴾**[5] الآيـة،بل ،وسَّع المجـال فيمـا بطبيعة العبد الى اليسر عند المشقـة والعسـر، فشـرع الرخص عندها ورفع الحرمة عند الاضطرار،وكل ذلك تيسيرا على العباد.

والامـر السـادس: الايمـان بان الله تعـالى إيـلام الانام بدون اجرام، كابتـلاء الاطفـال والعجائز بدون تطبيق الانتقام، وله تعذيب العبد المطيع بدون آثام، ولكنه اخبر بان من آمن وعمل صالحا سوف ينال المثوبة والاكرام.

---

(١) آية (١١٦) سورة الانعام.

(٢) آية (٢٢) سورة الدهر.

(٣) آية (١٤٣) سورة البقرة.

(٤) آية (٢٦) سورة البقرة.

(٥) آية (٢٨٦) سورة البقرة.

والامر السابع: انه لايجب على الله تعالى رعاية ماهو الاصلح للعباد، فانـه هو المتصرف المطلق وبيـده مقـاليـد الامـور فيؤتي الملك من يشاء وينـزعـه عمن يشـاء، وفي هذا المـوضـوع رد الامام ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه على ابي علي الجبائي المعتزلي وابطل مااعتقده وبهته، وان التوفيق وهو تيسر اسباب الخير لطف منه تعالى.

الامـر الثـامن: ان النظـر في معـرفـة الله تعالى واجب، وقد اوجبه الله تعـالى، فالوجوب شرعي ودليله من النصوص متوفر، قال تعالى: ﴿فاعلم انه لا اله الا الله﴾[1].

والعلم ناتـج من النظـر التـابـع للقصـد المتوجه الى المقصود المعبود الخالق الواجب الوجود، وبما ان الله تعالى لايكلف احد الا بما في وسعه يجب على المكلف النظـر حسب طاقتـه، سواء كان نظرا عاميا يستدل باثر الاقـدام على الـواجب العـلام او نظـرا علميـا كاستـدلال العلمـاء بما في الانفس والافـاق، فلا يبقى حينئـذ مكلف غير ناظر، فاذا اهمل شخص ما امكنـه واكتفى بمـا يسمعه فذلك لاينفعه، وعليه يحمل ماروي عن الامام الاشعري رحمه الله من عدم الاكتفاء بايمان المقلدين[2]، والناس يظنون ان عامـة العقـلاء مقلدون، وليس كذلـك فان كل واحـد منهم عنـده نوع نظر ثاقب، وان لم يكن على منهاج المتفلسفين، وعندهم ايمان راسخ كالطود الشـامـخ لايتـزلـزل بالـزلزال، وذلك اقوى من ايمان بعض العلماء الذين

---

(١) - آية (١٩) سورة محمد ﷺ.

(٢) - اي المقلدين في قضايا الايمان واركانه.

يتوجهون الى الاستدلال.

نعم من لم يبلغه نداء الاسلام من اهل الفترة الذين عاشوا بلا داع ووازع وارشاد نافع فهم ليسوا مكلفين لغفلتهم عن الحق،قال تعالى ﴿وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] وقال ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[2] وقال خطابا للحبيب الامين:﴿لتنذر قوما ماانذر آباؤهم فهم غافلون﴾[3].

والامر التاسع : انه لايستحيل،بل من الرحمة والحكمة بعث الرسل الكرام الى العباد مبشرين ومنذرين لهداية اصحاب العقل السليم الى الصراط المستقيم ، وقد ارسل آدم ابا البشر اليهم وبعده سائر الرسل الى ان ارسل حبيبه محمدا العربي القرشي الهاشمي محمدا بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف وامه آمنة بنت وهب الى الثقلين الجن والانس كافة بشيرا ونذيرا وقد بعثه رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واتباعه باحسان الى يوم الدين.

---

(١) آية (١٥) سورة الاسراء.

(٢) آية (١٦٥) سورة النساء.

(٣) آية (٦) سورة يس.

الباب الثاني

في معنى الكلمة بما اخبر به ﷺ

لنذكر مرادنا هنا مما عدا ماسبق في مقاصد شريفة .

المقصد الاول : الملائكة ، ويجب الايمان بوجودهم،وهم اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة نظيفة لايتصفون بذكورة وانوثة ، فليسوا من الموجودين بالتوالد والتناسل،بل من المخلوقين بالابداع وأمركنْ فيكون .

وشأنهم الخير والطاعة ، لقوله تعالى **﴿لايعصون الله ماأَمَرَهم ويفعلون مايؤمرون﴾**[1] ولهم تفاوت في الاحوال والمقام لقوله تعالى : **﴿وما منا الا له مقام معلوم﴾**[2] .

ولهم اصناف : فمنهم حملة العرش ، وهم في الدنيا اربعة وفي الآخرة ثمانية ، ومنهم المقربون والمشهور منهم اربعة :

الاول : جبرائيل ، وهو مأمور بالوحي والتنزيل لقوله تعالى **﴿نزل به الروح الامين على قلبك﴾**[3] .

الثاني : ميكائيل ، المأمور بالارزاق .

الثالث : عزرائيل ، المأمور بقبض الارواح .

الرابع : اسرافيل ، المأمور بالنفخ في الصور لخراب الدنيا مرة ولاحياء الاموات مرة ، قال تعالى : **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن**

---

(١) آية (٦) سورة التحريم .

(٢) آية (١٦٤) سورة الصافات .

(٣) آية (١٩٢ ـ ١٩٣) سورة الشعراء .

في والارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾[1].

ومنهم المأمورون على اوضاع السماء والسحاب والرعد والبرق والامطار والبحار، ومنهم المأمورون بكتابة اعمال المكلفين، لقوله تعالى **﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾**[2].

ومنهم المأمورون بدفع الاعمال، قال ﷺ (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)[3].

ومنهم المأمورون بنفخ الروح في الجنين، كما في الحديث الشريف .

ومنهم المأمورون بحفظ الانفس، لقوله تعالى **﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾**[4]، ولقوله تعالى **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلقه**

---

(١) آية (٦٨) سورة الزمر.

(٢) آية (١٠ - ١١ - ١٢) سورة الانفطار.

(٣) رواه البخاري جـ١٣/٣٥٢ وجـ٢/٢٩ بهامش الفتح ومسلم جـ ٥/١٣٣ بهامش النووي ومالك في الموطأ جـ ١/٣٠٤ بهامش المنتقى، واحمد في المسند جـ٢/٤٨٦ من طريق ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة. ان رسول الله ﷺ قال:

وفي رواية للبخاري (ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) جـ٢/٢٩، جـ٦/٢٢٣.

ورواه مسلم جـ٥/١٣٤ بهامش النووي واحمد جـ٢/٣١٢ من طريق همام بن منبه عن ابي هريرة.

ورواه احمد جـ٢/٢٥٧ من طريق موسى بن يسار عن ابي هريرة بلفظ (ان لله ملائكة يتعاقبون بالليل وملائكة بالنهار).

ورواه ابو نعيم في الحلية جـ٧/٣٢٥ قال: غريب من حديث الليث عن عمرو بن الحارث عن ابي يونس عن ابي هريرة. صحيح متفق عليه من حديث ابي هريرة من غير وجه. ط اوفسيت المكتبة السلفية.

(٤) آية (٤) سورة الطارق.

يحفظونه من امر الله﴾[١].

ومنهم المأمورون بسؤال الاموات في القبور.

ومنهم المأمورون بالتنعيم. والتعذيب فيها الى ان ينفخ في الصور.

ومنهم المأمورون مع المحشورين، قال تعالى: **﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾**[٢]، لانهم المأمورون يوم البعث، لقوله تعالى: **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن﴾**[٣].

ومنهم المأمورون بتعذيب اهل النار او تنعيم اهل الجنة في يوم القرار.

ومنهم غير ذلك ﴿وما يعلم جنود ربك الا هو﴾[٤].

ولسنا مكلفين بمعرفة تفصيل اعدادهم واحوالهم وذلك موكول الى العليم الخبير.

المقصد الثاني: وجود الجن: وهم اجسام لطيفة نارية ويقتدرون على التشكل باشكال مختلفة ظاهرة أوْلا، ويتصفون بالذكورة والانوثة، ووجودهم بالتوالد والتناسل، وهم مكلفون كالانسان، لقوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾**[٥]، وقد خلقوا قبل البشر، لقوله تعالى: **﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾**[٦].

وقد ارسل اليهم الرسل الى اخر العهد الذي بعث فيه سيدنا محمد، ﷺ وقد بُعث اليهم، بنصوص الكتاب والسنة واجماع الامة، قال تعالى: **﴿واذ**

---

(١) آية (١١) سورة الرعد.
(٢) آية (٢١) سورة ق.
(٣) آية (٣٨) سورة النبأ.
(٤) آية (٣١) سورة المدثر.
(٥) آية (٥٦) سورة الذاريات.
(٦) آية (٢٧) سورة الحجر.

صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم، يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين ﴾[1].

وقد نص على دعوة الرسول محمد ﷺ لهم الى الاسلام، وقال تعالى ﴿وأنَّه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾[2] ﴿فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[3] وفي المؤمنين مطيعون وعاصون والكفار منهم يسنمون بالشياطين.

واعصى العصاة منهم ابليس، وقد كان بين الملائكة يعبد الله تعالى حتى خلق الله آدم ابا البشر وامره والملائكة بالسجود له تشريفا فأبى واستكبر وكان من الغاوين، قال تعالى في بيان سر كفره: ﴿كان من الجن ففسق عن امر ربه﴾[2] وهذه الآية ظاهرة في ان الله تعالى امره شخصيا بالسجود، كقوله: ﴿ما منعك الا تسجد اذا امرتك﴾[3].

وهو وذريته وسائر الجن المتمردة يوسوسون في قلوب الناس لقوله تعالى: ﴿شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا﴾[4] ويضلون بعض ضعفاء العقول، ويدل على ذلك قوله تعالى

---

(١) آية (٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢) سورة الاحقاف.

(٢) آية (١٩) سورة الجن.

(٣) آية (٢٥٣) سورة البقرة.

(٤) آية (٥٠) سورة الكهف.

(٥) آية (١٢) سورة الاعراف.

حكاية: ﴿ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا﴾[1].

والعصاة منهم يعذبون في الجحيم قال تعالى: ﴿ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنّة والناس اجمعين﴾[2] وللجن قدرة على الاعمال الشاقة، كما قال تعالى في سورة الانبياء: ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك﴾[3] وفي سورة النمل: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك﴾[4].

المقصـد الثـالث: الايمـان بالرسل الكرام. والمقصد الرابع في الايمان بالكتب المنزلة عليهم من الله العلام:

امـا الايمـان بالـرسـل فعبـارة عن الايمـان بان الله تعـالى اختـارهم واصطفـاهم لانـزال كتبـه اليهم ليبلغـوهـا الى المكلفين ليهتـدوا بهـا الى السعادة في الدارين اعتقادا وعملا، وهنا امور. .

الاول: ان بعث الرسل الكرام فضـل ورحمة من الله، اذ لايجب عليه شيء، ولكنـا لمـا نظـرنـا الى احكـامـه المتقنـة المملوءة من الفوائد علمنا ان من مقتضى حكمتـه البـاهـرة، لاز العـاقـل اذا تفكر في العالم علم ان العباد لايصلحـون، فوضى بلا نظـام، فوجب ان يكـون لهم نظـام يكون اساسا لانتظـام امـورهم، فان بالعـدل تعتدل الاحوال وذلك النظام لايكفي لنيل المقصـود اذا كان نظـامـا لايسيطـر على الارواح ولا تتنوّر به القلوب لنيل

---

(١) آية (١١٢) سورة الانعام.

(٢) آية (٢٩) سورة فصلت.

(٣) آية (١٣) سورة السجدة.

(٤) آية (٨٢) سورة الانبياء.

الصلاح، فان هناك اشياء كثيرة كتنفيذ رغبات الطبع ومشتهيات النفس وقضاء الوطر من الملذات وحب الجاه والسيطرة على الناس لاتعارض الا بنور الايمان المنبثق من مصباح الرسالة الالهية الناتجة من الوحي المقدس الى الرسل الكرام.

والحقيقة ان الانسان لايعيش سعيدا الا براحته واطمئنانه، ولا يتحقق ذلك الا بالارتباط بالحي القيوم الذي بيده ملكوت السموات والارض، فهو الذي ينور قلب عبده ويجعله سراجا وهاجا فيستنير به طريق السلوك الى سعادة الدارين، ولذلك اتفقت العقول السليمة على ان الانسان محتاج الى النظام الروحي الذي يدعوه الى قبول الحق ورعاية العدالة في الكل والا فما الذي يحفظ الانسان عن الخيانة في الامانات المودعة عنده وعن قضاء شهوة النفس في الخلوات التي لايعلم بها الا الله وعن الجور في الاحكام اذا لم يكن عليه رادع زاجر وعن الخلف في الوفاء بالعهود والايمان والحقوق الدائرة في البين، فثبت عند المنصف ان الدين واجب لنيل السعادة.

الامر الثاني: ان اولئك الرسل الذين اختارهم الله تعالى لاعباء الرسالة يجب في حقهم الصدق والامانة في تبليغ الاحكام، ويستحيل في حقهم اضدادها، واما في سائر الاداب والاحكام البشرية فهم بشر لا غير.

الامر الثالث: ان الرسل الكرام يجب عصمتهم عن الكفر ومادونه من الكبائر وعن الصغائر الدالة على الخسة النفسية مطلقا قبل النبوة وبعدها.

اما نقلا فلآيات كثيرة تنزه ساحة وجودهم الشريفة عن العيوب الكثيفة، قال تعالى: **﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾**(١) وقال:

---

(١) آية (٥٩) سورة النمل.

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين﴾[1] وفي آيات عديدة ذكر الله تعالى **﴿انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار﴾**[2] وكلل تيجان كرامتهم بجواهر الثناء،فيقول لحبيبه محمد ﷺ: **﴿ياايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا﴾**[3] ويمدحه بقوله الكريم: **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**[4] وفي ذلك كفاية وكفى بالله شهيدا.

واما عقلا فلان العقل لا يُسَلِّم ان يستخلف الله الحي القيوم العادل القادر على عباده من يجورهم ويظلم حقوقهم ويتصف بصفات ذميمة يستنكف منها الاوساط من عقلاء العباد، ولذلك يعلن الله تعالى كرامتهم ويثني عليهم ويقول: **﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**[5] وجعل الشهادة على رسالته شطرا من شعار الاسلام، ويَمُنُّ عليه بشرح الصدر ورفع الذكر المستلزم لاستحباب ذكر فضائله وشمائله ونشرها في الانام مدى الدهور والاعوام وطول السنين والشهور والايام فانها من اقوات الارواح كالغذاء الواجب لبقاء الهياكل والاشباح، فسبحان من اختار من فضله خيار عباده فارسلهم وجعلهم مصابيح لتنوير الصراط المستقيم.

الامر الرابع: ان الرسول انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ كتابه للعباد، والنبي اعم منه،اي انه انسان بعثه الله تعالى اليهم بدون شرط

---

(١) آية (١٨٠ ـ ١٨١) سورة الصافات.

(٢) آية (٤٧) سورة ص.

(٣) آية (٤٥ ـ ٤٦) سورة الاحزاب.

(٤) آية (٤) سورة ن.

(٥) آية (٥٦) سورة الاحزاب.

التبليغ بان اوحى اليه شرع يعمل به لنفسه ، ويدل على ذلك زيادة عدد الانبياء على الرسل ، فقد روي ان عددهم مائة واربعة وعشرون الفا وان عدد الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر[1] هذا .

والمذكورون باسمائهم في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة سبع وعشرون : آدم وشيث وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب والياس واليسع وذو الكفل وموسى وهارون ويوشع ويونس وداود وسليمان وعزير وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . واولوا العزم منهم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، وهم افضل من غيرهم ، كما ان سيدنا محمد ﷺ افضل من الجميع ، قال تعالى : ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾[2] الآية .

واسباب التفضيل كثيرة ، منها عموم الرسالة للعالمين ومنها استمرار المعجزة ودوامها الى يوم الدين ومنها كثرة الفضلاء والعلماء من امته، ومنها التحلي بمكارم الاخلاق اكثر من غيره . كما قال تعالى: ﴿**وانك لعلى خلق عظيم**﴾[3] .

---

(١) روى الامام احمد جـ٥/٢٦٦ وقد ذكر عدد الرسل . عن ابي امامة رضي الله عنه في حديث طويل . . قلت : يارسول الله كم وفي عدة الانبياء؟ قال : (مائة الف واربعة وعشرون الفا ، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) .

(٢) آية (٢٥٣) سورة البقرة .

(٣) آية (٤) سورة ن .

المعجـــزة :

الامـر الخـامس : مما تثبت به رسالة الرسل **المعجزة،وهي امر يظهر بخلاف العـادة على يد مدعي الـرسـالـة في مقـام تحدي المنكرين على وجه يدل على صدقه، ولايمكنهم معارضته.**

ومـاتقـدم على دعـوى الـرسـالة يسمى ارهاصا ومالم يكن في مقام التحدي كرامة كما يظهر على ايدي الصالحين.

ومما يجب ان يعلم ان المعجـزة ليست ممـا يكتسب بالصناعة والتعليم، فان المكسوب امر اعتيادي لكل كاسب وانه لم يخلق الله تعالى معجزة من المعجزات على ايدي الكاذبين،وذلك فضل ومنة ورحمة على العباد حتى لايتورطوا في الاشتباهات.

ومعجـزات بعض الـرسـل مشهـورة ومعجـزات سيدنا محمد ﷺ كثيرة مدونـة في كتب السيـر،منها انشقاق القمر باشارته ﷺ،ولا يجب ظهور ذلك عنـد غيـر المستعـد لمعـرفته،فلا يُقدح **بالاقاويل،وقد قال تعالى ﴿اقتربت السـاعـة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾**[1] **وهذه** الآية كاسرة **لظهور المنكرين، ومنها تسبيح الحصى في يده الشريفة وانطاق العجمـاء وتفجـر الماء من بين اصابعه اللطيفة، واوضح المعجزات القرآن المنزل عليه الذي تحدى به بلغاء الانس والجن ولم يقدروا الى الان على الاتيان بمثله.**

---

(١) آية (١) سورة القمر.

سر اعجاز القرآن الكريم

وقد ذكروا في وجه الاعجاز امورا :

الاول: اشتماله على النكات البلاغية التي تدهش ارباب البلاغة .

الثاني: اخباره بمغيبات خَفِيَتْ على العالم .

الثالث: بيانه لبعض الامور السماوية التي لايصل اليها الا ارباب البصيرة في العلوم المختصة بها .

الرابع: استيعاب اصول الاحكام الاعتقادية والعملية واطلاق سراح العقول المهتدية الى استنباطها .

الخامس: خلوه عن الكذب في مدحه وذمه، ونبوّه عن الافراط والتفريط .
والتفريط .

السادس: ان كل مجموعة منه يستفيد منها مجموعة من السامعين والمختلفين في المكاسب والمشارب،فلا يقنط السامع من سماع نافع جامع .

الثامن: دعوته لعقلاء العالم الى السعي في الارتباط بالمثل العليا مع امره بالاعتدال في امر الدين والدنيا .

التاسع: توجيههم الى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل .

العاشر: مخالفة اسلوبه لاساليب الكلام المعتاد بين العباد .

كل ذلك في دور شخص لم يدخل في المدارس والمعاهد والمعابد ولم يسافر الى بلد لكسب الخط والعلم وماكان يتلو الكتاب ولا يخطه بيمينه، فحق انه تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبه ليكون بشيرا ونذيرا للعالمين، فبلغه وفسره وعلمه ونشره فهدى الناس للتي هي اقوم وارشدهم الى الطريق الاقوم .

محمد سيدنا افضل الرسل

الامر السادس: انه ﷺ افضل الرسل الكرام.

والدليل عليه امور:

الاول: عموم رسالته وشمولها للعالم، قال تعالى: ﴿وماارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾(١) وقال ﴿وماارسلناك الا رحمة للعالمين﴾(٢) وقد بشر وانذر ﷺ أمَّ القرى ومن حولها وكتب الكتب الى كبراء العالم يدعوهم الى الاسلام فكتب الى كسرى الفرس والى هرقل عامل الروم والى امراء الخليج العربي والى مقوقس عظيم الاقباط.

الثاني: ان دينه ناسخ لسائر الاديان وان شريعته مستمرة الى الابد.

الثالث: استمرار معجزته الى يوم القيامة،فان القرآن المعجز يبقى كما كان الى آخر الزمان.

الرابع: اختصاصه بامة كانت خير امة اخرجت للناس،من جهة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوام الطاعة والعلم باصول الدين ودوام الجهاد والارشاد وتنوير العباد.

الخامس: اختصاصه بكرامة الاسراء ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وذلك بنصوص القرآن الكريم، ثم

---

(١) آية (٢٨) سورة سبأ.

(٢) آية (١٠٧) سورة الانبياء.

عروجه منه الى ماشاء الله من المعارج حتى تلقى الخطاب من ربه تعالى وفرض عليه وعلى امته الصلوات الخمس في كل **يوم وليلة، وقد كان باليقظة والانتباه ولو كان رؤيا رآها او خيالا تخيلها لم يكن مما له اهميته لايقة بالنقل.**

وذلك علاوة على مايدل عليه القرآن الكريم من اختصاصه بفضائل جمة وخطابه له بالالقاب المشرفة بعنوان النبوة والرسالة وثنائه عليه بتوصيفه بالصفات العالية،ولم يتحقق لغيره من المرسلين،وقد روي عنه ﷺ في الموضوع احاديث، فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة بيدي لواء الحمد ولا فخر ومانبي يومئذ آدم ومن سواه الا تحت لوائي [وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر] وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر. وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر][1].

---

(١) روى مسلم من طريق الاوزاعي حدثني ابوعمار حدثني عبدالله بن فرّوخ حدثني ابوهريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (انا سيد ولد آدم، وأوّل من ينشق عنه القبر، واول شافع واول مشفع). جـ١٥/ ٣٧ بهامش النووي وابوداود جـ٤/ ٢١٨/ ٤٦٧٣ (... اي ربي خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر واول من تنشق الارض عنه يوم القيامة ولا فخر..) وهومن حديث طويل رواه الامام احمد جـ١/ ٥ ومن طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي نضرة، قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: (... وانا سيد ولدم آدم يوم القيامة ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر..) جـ١/ ٢٨١/ ٢٩٥ وعن ابي هريرة رواه احمد جـ٢/ ٥٤٠ ثنا محمد بن مصعب ثنا الاوزاعي عن يحيى عن ابي سلمة عن ابي هريرة.

ونهيه عن تفضيله على يونس بن متى تواضع منه ﷺ، اوكان قبل علمه بانه افضل منه او المراد تفضيل يكون على سياق يورث نقصا في حقه عليه السلام.

ومن شرط الايمان بالرسل عليهم السلام احترام كل منهم وعدم التفرقة بينهم في نفس الرسالة،والا فهو تعالى نص على تفضيل بعض منهم على بعض فالتصريح بالتفضيل مع الدليل جائز.

المقصــد الـرابع: الايمان بكتبه تعالى:

واما الايمان بكتبه تعالى فعبارة عن التصديق بان جميع مانزل به جبرائيل الامين عليه السلام كلام الله الازلي القديم المعلوم له تعالى ازلا، وليس فيه علاقة لغيره تعالى من الملائكة والجن والانس قطعا،اي ليس من كلامهم، وذلك الكلام المقدس دليل على الصفة النفسية القديمة التي ليست من جنس الحروف والاصوات.

وعدد الكتب المنزلة على اول الرسل سيدنا آدم عشرة وعلى شيت خمسون وعلى ادريس ثلاثون وعلى ابراهيم عشرة وعلى موسى التوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى سيدنا محمد ﷺ القرآن

ومن حديث عمرو بن انس. ثنا يونس ثنا ليث عن يزيد، يعني ابن الهاد عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اني لاول الناس تنشق الارض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، واني آتي باب الجنة فآخذ بحلقتها . . .) جـ٣/١٤٤ مسند الامام احمد.

وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري بلفظ (انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بيدي لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي، وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر. . واخذ بحلقه باب الجنة فاقعقها. .) جـ٤/١٤٠ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند.

الكريم الذي يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين، والذي يتعبد بتلاوته وتعجز اقصر سورة منه المعارضين..

فائدة جليلة:

لما كان احد وجوه اعجاز القرآن الكريم عائدا الى الفاظه ودلالاتها منطوقا ومفهوما وكونها مختصة او مشتركة لفظا او معنى، والى تأثير التقديم والتأخير بين الالفاظ في الكلام وتصدير بعض الجمل ببعض الحروف والتفاوت بين الجمل الاسمية والفعلية وكون الفعل ماضيا او مضارعا مع رعاية اشتماله على النكات البلاغية كانت ترجمة القرآن الكريم من المستحيلات، لان الترجمة تقتضي ان يكون المفرد طبق المفرد والمركب طبق المركب مع ملاحظة الدلالة والفوائد الناتجة مما ذكرنا ورعاية نكات البلاغة فكانت ممتنعة قطعا.

نعم يمكن تفسير آياته الكريمة بعبارات تفيد المقاصد الاساسية، لكن ذلك ليس ترجمة وانما هو تفسير وبيان فتنبهوا لذلك فانه مهم جدا..

(المقصد الخامس في القضاء والقدر)

القضاء بمعنى الارادة والقدر بمعنى الخلق، او القضاء بمعنى العلم والقدر بمعنى التقدير والتحديد، وعلى كل فالايمان بالقضاء والقدر معناه التصديق بان كل ماموجود انما يحدث بارادته تعالى وخلقه وبحسب علمه وتحديده لذلك الشيء قال تعالى: ﴿**فعَّال لما يريد**﴾[1] وقال: ﴿الله خالق كل شيء﴾[2] وقال: ﴿**انا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[3] وقال: ﴿**الا يعلم من**

(١) آية (١٦) سورة البروج.

(٢) آية (٦٢) سورة الزمر.

(٣) آية (٤٩) سورة القمر.

خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1] فالعالم كله اعلاه واسفله بحره وبره والانسان وعمله خيره وشره كله بخلقه تعالى وتنفيذ قدرته التابعة لارادته لعلمه، وهذه هي عقيدتنا نحيا عليها وبها نموت.

وايضاح المقام أنّا لما شعرنا بوجودنا شعور اهل التمييز وجدنا ذواتنا محتاجة الى الغير ولما نظرنا الى غيرنا وجدناه محتاجا ايضا،وعندما رفعنا الرأس ونظرنا الى العلويات واستدللنا باحوالها حصلنا على نتيجة؛ انها ليست من الصدفة ولا ناشئة من الطبيعة اللاشعورية، بل هي ايضا محتاجة الى الذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال المنزه عن النقصان، ولما آمنّا بانه موصوف بصفات الكمال من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام علمنا أنّ صفة العلم بدون المعلوم والارادة بدون المراد والقدرة بدون المقدور والسمع بدون المسموع والبصر بدون المبصر والكلام بدون من يتكلم معه غير معقول علمنا أنّه من مقتضى اتصافه بتلك الصفات خلق الكائنات،وهي من آثار ذاته،لا على سبيل الايجاب،بل على سبيل اقتضاء الحكمة،وعلمنا انها مخلوقة له وحده لاشريك له، لان الكمال المطلق بريء عن اشتراك الغير، ولما علمنا ذلك علمنا أن العالم كما يحتاج الى نظام يبقى معه دوام الحركة والدوران الى ماشاء الله كذلك تحتاج المجموعة البشرية الى نظام تعيش عليها يربطها بخالقها علما وايمانا واعترافا بالاحتياج اليه ويراعي العدل وموازين الحق، وعلمنا ان ذلك لايمكن الا برسول يرسله الله تعالى يكون كرابطة بينهم وبين خالقهم الحي القيوم، وعلمنا ان ذلك الرسول يأتيه كتاب لرعاية هذه العلاقة المقدسة لينالوا السعادة. ولما بَلّغنا الرسول كتابه وشرح لنا مبادئه

---

(١) آية (١٤) سورة الملك.

المقدسة علم كل عاقل ان الله تعالى عالم بكل شيء ومريد لما يحدث في العالم بقدرته،سواء كان الحادث من الاعيان اومن الاعمال والاحوال للانسان اوغيره، ووجدنا ان ذلك النظام يقتضي الفرق بين المطيع والعاصي لثواب ذلك وعقابه،وانه لما لم يكن الجزاء في هذه النشأة المؤقتة القصيرة علمنا أنّ ماأتى به الرسول الصاحب للنظام الالهي حق لاريب فيه وان بعد هذه الدنيا عالما آخر للحساب ونيل الثواب والعقاب، فنثاب او نعاقب على اعمالنا فيه.

فان قيل اذا كان واجب الوجود عالما بكل شيء من اعمالنا وغيرها ولايمكن تخلف المعلوم عن علمه كما لايتخلف المراد عن ارادته وان الخالق لها هو الله تعالى وحده فماذا علينا؟ ولماذ يترتب لنا الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي وماالسبب؟

قلنا: السبب في ذلك هو ان النظام الالهي افادنا ان الله سبحانه وتعالى علم في الازل انه بعد ان خلقنا وزوّدنا بالحواس والعقل وأيّد عقلنا بارشاد الرسل،وببيان طريق الخير والشر والجزاء بالثواب والعقاب انا نختار في حياتنا سلوك طريق الخير والعمل به و الدوام عليه وهو يخلق لنا الثواب، او اننا نختار سلوك سبيل الشر والفساد ونُرجّح ماتقتضيه الشهوات والرغبات وهو يخلق لنا مااخترناه ويرتب عليه العقاب بمقتضى حكمته وعدله.

وخلاصته ان الله تعالى علم في الازل ان المكلف يختار الجانب المخصوص من الاعمال فهو في المستقبل يخلق له ذلك الجانب حسب توجه رغبته اليه وتخصيصه بارادته الجزئية،فعلمه الازلي مرآة مبصرة لما يختاره المكلف في المستقبل لا قوة قاهرة تحكم عليه.

واما من جعل الاجل اجلين:طبيعيا كما في المعمرين،وانخراميا كما في

المصابين بالعوارض،فقد نظر الى مايدركه العقل من الامور المعتادة،والا فمن آمن بالله وعلم انه عَيَّنَ لحياته مدة لايتجاوزها او انه يموت بالاصابة الفلانية فلا يبقى عنده ذلك التقسيم ، قال تعالى : ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم﴾[1] .

فان قلت : اذا وجب الايمان بالقضاء والقدر وماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فما وجه المحاولات حول الاسباب لتحصيل امر او لتعطيله؟ .

قلنا : ان هذا السؤال ناشيء من الجهل بتقدير الاشياء،فان الله تعالى اذا قدر شيئا قدر اسبابها وقدر شرائطها،فقد علمنا من نص كتابه العزيز انه قال في شأن ذي القرنين : ﴿وآتيناه من كل شيء﴾[2] وجرت سنته تعالى بترتيب المسببات على اسبابها وقال : ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[3] وقد علمنا ان المطر سبب للنبات وان الحذر سبب للنجاة وان التداوي سبب للشفاء من الامراض وان الدعاء سبب له ، قال تعالى : ﴿اجيبُ دعوة الداع اذا دعاني﴾[4] وان الصدقة سبب لرفع البلاء قال ﷺ:(الصدقة تدفع

---

(١) آية (١٥٤) سورة آل عمران .

(٢) آية (٨٤) سورة الكهف .

(٣) آية (٢٣) سورة الفتح .

(٤) آية (١٨٦) سورة البقرة .

البلاء وتزيد العمر)[١] وقد امر الله تعالى بمباشرة السبب فقال: ﴿خذوا حذركم﴾[٢] وقـال: ﴿خـذ من امـوالهم صدقـة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[٣] ونحن نعتقد ان مطلوبنا المعين له اسباب او سبب معين فنسعى في مباشرة الاسباب فان نجحنا علمنا ان الله تعالى قدّره لنا وان لم ننجح علمنا انه لم يقدره وقد قال تعالى: ﴿وان ليس للانسان الا ماسعى﴾[٤].

ومما يجب ان يعلم انه لما كان اعتقاد الفرقة الناجية على ان الله تعالى خالق كل شيء ابتـداء وانـه مختـار في كل تأثيـر وايجـاد كان معنى ربـط المسببـات باسبـابهـا وتـرتبهـا عليهـا هو التسبب العـادى،حتى يقـال في المحـاورات: تحقق الشيء الفـلاني مع سببـهلا بـــه، حذرا عن ايهـام التأثيـر، وان معنى التـوسـل بأي شيء التعلق به كسبب اعتيادي للمطلوب سواء كان ذلك الشيء من الاعمال الصالحة كما في قضية اصحاب الرقيم او دعاء احد الصالحين او جاه احد الانبياء والمرسلين، كما روى ابن ماجة

---

(١) روى الطبراني في الكبير عن رافع بن خداج قال: قال رسول الله ﷺ: (الصدقة تسد سبعين بابا من السـوء) وفيـه حمـاد بن شعيب وهو ضعيف. مجمع الزوائد جـ٣/ ١٠٩. وعن علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنـه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: (بـاكـروا بالصـدقـة فان البـلاء لايتخطاها)

روى الطبراني في الكبير عن رافع بن خداج قال: قال رسول الله ﷺ (الصدقة تسد سبعين بابا من السـوء) وفيـه حمـاد بن شعيب وهو ضعيف. مجمع الزوائد جـ٣/ ١٠٩. وعن علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (باكروا بالصدقة فان البلاء لايتخطاها) قال الهيثمي: رواه الطبـراني في الاوسـط وفيـه عيسى بن عبـدالله بن محمـد وهو ضعيف جـ٣/ ١١٠. وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: (ان صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفقر والفخر). قال: رواه الطبراني في الكبير وفي كثير بن عبدالله المزني وهو ضعيف. جـ٣/ ١١٠.

(٢) آية ٧١ سورة النساء.

(٣) آية ١٠٣ سورة التوبة.

(٤) آية ٣٩ سورة النجم.

باسناد صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من خرج من بيته الى الصلاة فقال: اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاي اليك، فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لايغفر الذنوب الا انت. اقبل الله لوجهه عليه واستغفر له سبعون الف ملك)[1].

(الحُسن والقبح)

كما يجب ان نعلم ان افعالنا الاختيارية التي تصدر منا كسبا ومن الله تعالى خلقا، منها افعال قبيحة، بمعنى انها يترتب عليها المدح من الله في الدنيا والثواب منه تعالى في الاخرة، اويترتب عليها الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة.

والحسن والقبح بهذا الوجه لايدركه العقل، وانما يعلم بالشرع، واما الحسن بمعنى كون الشيء صفة كمال كالعلم اوملائما للطبع كوصول الحبيب الى المحب، والقبح بمعنى كون الشيء صفة نقص كالجهل او منافرا للطبع كفراق الحبيب عن محبة، فهما عقليان يدركهما العقل بلا

---

(١) رواه احمد جـ٢ / ٢١ ثنا يزيد ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري، فقلت لفضيل رفعه، قال: احسبه قد رفعه قال: (من قال حين . .) الحديث.

ورواه ابن ماجة من نفس الطريق جـ١ / ٢٥٦ / ٧٧٨. قال في مصباح الزجاجة: هذا اسناد مسلسل بالضعفاء، عطية هو العوفي، وفضيل مرزوق والفضل بن الموفق، كلهم ضعفاء، ولكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده، قال البوصيري: وذكره رزين ورواه احمد بن منيع، ومسنده: حدثنا يزيد حدثنا الفضل بن مرزوق، فذكره باسناده ومتنه، وزاد في آخره: (حتى يفرغ من صلاته) جـ١ / ٩٨ - ٩٩ مصبح الزجاجة للبوصيري.

ريب.

فان قلت: اذا كانت افعالنا كذلك، فكيف يخلق الله تعالى القبيح منها، كالكفر والعصيان وقتل الابرياء، وهل يجوز صدورها منه تعالى؟

قلنا: نعم يجوز صدورها منه، لاسيما اذا كان منشأ صدورها منه سوء تصرف العباد واختيارهم للشر والفساد، فان الخلق لما كان صفة العليم الخبير الذي لاتخلو افعاله عن الحكمة يكون موافقا لنظام العالم، فان النار محرقة واشعالها فيه مصالح، والحيّة لدّاغة قتّالة، وقد تلدغ رِجل قاطع الطرق، فكل فعل صادر منه تعالى جميل، ومقرون بالحكمة.

واما اتصافنا بافعالنا فناشيء من رغباتنا النفسية، فقد تكون صالحة حسنة وقد تكون طالحة قبيحة، ومن هنا يظهر الجمع بين المعتقدين هما الرضاء بالقضاء واجب، والرضاء بالكفر كفر.

ووجه الجمع أنّ الامر المقضي له جهتان:

جهة صدوره من الله العادل الحكيم وجهة كسبه من العبد الجائر اللئيم، والرضاء بالفعل الصادر من الله واجب والرضاء بالكسب الناشيء من سوء الاختيار لاقبح الاعمال كفر، وان الله لايرضى من عباده العصيان.

وبما تقرر من ان افعال العباد التي تصدر منها بالاختيار مكسوبة للعبد ومخلوقة للمعبود ظهر كالشمس في رابعة النهار ان العبد مخير في تلك الافعال لا مسير، كما انه في ذاته وصفاته وافعاله الاضطرارية مسير لامخير، وظهر ايضا ان العبد العاقل السليم مكلف وان التكليف يتوقف على وجود قوة الكسب لا قوة الخلق وان الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وان العبد كاسب لافعاله الاختيارية ومدار كسبه سلامة الاسباب والآلات من الاعضاء والحواس والعقل، وهذه هي الاستطاعة المشروطة في المكلفين.

من بعض المعتقدات الاسلامية . .

فنعتقد أنَّ أُمة سيدنا محمد ﷺ من خير الامم وافضلها عند الله تعالى قال تعالى : ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾[1] ويدل على سر ذلك امور:

الاول: انهم جاهدوا بانفسهم واموالهم في سبيل نشر الاسلام في ربوع العالم.

الثاني: انهم حفظوا نصوص القرآن الكريم مَرَّ الزمان.

الثالث: انهم حفظوا سنة النبي ﷺ من اقواله وافعاله وتقريره ثم دونوها وهذبوها وقسموها حسب قوة الاسانيد للتوصل بها الى فهم الكتاب واخذ احكام الاسلام.

الرابع: انهم أسسوا كل مالابد منه لحفظ الكتاب والسنة من العلوم العربية المتعلقة بمادة الالفاظ واعرابها وبنائها ونكاتها وطرق استفادة المعاني منها.

الخامس: انهم اكبوا على دراسة تلك العلوم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا.

السادس: انهم حافظوا على اركان الاسلام.

السابع: انهم استمروا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الامكان.

الثامن: انهم اخلصوا دينهم لله ونبغ منهم جمع في كل عصر من اصحاب

---

(١) - آية (١١٠) سورة عمران.

التقى والامتياز بين الاسلام حتى صاروا اقباسا مضيئة نافعة لاهل الدين.

التاسع : انهم لايجتمعون على ضلالة وهذه العصمة تبعد الامة الاسلامية عن التهمة في التلاعب بالدين، فكان في كل عصر اكثرية ساحقة من المستقيمين على الحق اعتقادا وعملا بحيث لايضرهم من ضل عن سواء السبيل، ولذلك رغب الرسول ﷺ افراد امته في اتباع الاكثرية الساحقة وحذرهم عن الخروج عنها وقال: ﴿**فانما يأكل الذئب من القطيع الشاة القاصية**﴾[1].

---

(١) رواه االنسائي، عن ابي الدرداء (.. فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية..) جـ٢/١٠٦ـ١٠٧. قال: اخبرنا سويد بن نصر قال: انبأنا عبدالله بن المبارك عن زائدة بن قدامة قال: حدثنا السائب بن حُبيش الكلاعي عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: قال لي ابو الدرداء: ورواه احمد جـ٥/٢٣٢/٢٣٣ من طريق سعيد عن قتادة ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل بلفظ (ان الشيطان ذئب كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد).

واحاديث هذا الباب كثيرة وقد جاءت من طرق متعددة، روى الامام احمد في مسنده جـ٥/ ٣٧٠/٣٧١ ثنا اسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت زكريا بن سلام يحدث عن ابيه عن رجل قال: انتهيت الى النبي ﷺ وهو يقول: (ايها الناس عليكم بالجماعة، واياكم والفرقة...) ثلاث مرات. وروى الترمذي من طريق آخر جـ٣/٢٠٧ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ـ اي الوجه الذي اخرجه هو ـ وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ. أهـ.

وطريق ابن المبارك رواه الامام احمد قال: ثنا علي بن اسحاق قال: انبأنا عبدالله ـ يعني ابن المبارك أنبأنا محمد بن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. جـ١/١٨. ومحمد بن سوقة ثقة انظر تهذيب التهذيب جـ٩/٢٠٨ وكذلك علي ابن اسحاق انظر تهذيب التهذيب جـ٧/٢٨٢. ورواه من طريق آخر جـ١/٢٦ ثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة. وجرير ثقة. انظر تهذيب التهذيب جـ٢/ ٧٥ وكذلك عبد

العاشر: انه لاتخلو الامة الاسلامية عن رجال اولي فضل وامتياز في الاعتقاد والاعمال وقال: ﴿مثل امتي مثل المطر لايُدرى اوله خير ام آخره﴾[1] ونعتقد ان افضل تلك الامة اهل القرن الاول ثم اهل القرن الثاني ثم اهل القرن الثالث قال ﷺ:(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[2] فيستوعب، الخيرية الصحابة الكرام رضي الله عنهم

الملك انظر تهذيب التهذيب جـ٦/٤١١ .

ومنها حديث (. . . وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، هي الجماعة) اخرجه احمد جـ٤/١٠٢ الدارمي جـ٢/٢٤١ والحاكم جـ١/١٢٨ من طريق صفوان حدثني الازهر بن عبدالله الهوزيني عن ابن عامر عبدالله بن يحيى عن معاوية بن ابي سفيان انه قام فينا فقال: الا ان رسول الله ﷺ قام فينا فقال:

قال الحاكم بعدما ذكر الحديث من اسانيد الحديث: هذه اسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. أهـ. ووافقه الذهبي. جـ١/١٢٨ . وقول الحاكم هذا انما ذكره لاجل الازهر فقد تكلموا فيه تهذيب التهذيب جـ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(١) رواه احمد من طريق حماد بن يحيى حدثنا ثابت البناني عن انس جـ٣/١٣٠/١٤٣ (مثل امتي . .) ورواه من طريق آخر ثنا عبد الرحمن ثنا زياد ابو عمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال: . . جـ٤/٣١٩. ورواه الحافظ ابو نعيم في الحلية من طريق آخر جـ٢/٢٣١ قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر: حديث حسن له طرق قد يرتقى بها الى الصحة جـ٧/٥ فتح الباري. أهـ.

(٢) رواه البخاري جـ٥/١٩١ جـ١١/٢١٢/٤٧٣ بهامش الفتح ومسلم جـ٧/١٨٤ ـ ١٨٥ بهامش النووي والترمذي جـ٤/٣٥٩ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند واحمد جـ١/٣٧٨/ ٤٣٤/ ٤٣٨/ ٤٤٢ وابن ماجة جـ٢/٧٩١/٢٣٦٢ ،وابو نعيم جـ٢/٧٨ في الحلية من طريق ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبدالله بن مسعود ولفظ البخاري (خير الناس قرني . . .) (اي الناس خير؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم . .) وعند الامام احمد (ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثا او اربعا . .) جـ١/٤٣٤ .

ومن طريق شعبة حدثني ابو حمزة حدثني زهدم بن مضرب قال: سمعت عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول ولفظه (خير امتي قرني . . .) جـ٧/٤ بهامش فتح الباري وابو

والتابعين وتابع التابعين وذلك لانهم كانوا هم المصادر الاساسية والمنارات المقياسية لدين الاسلام وقواعده الاعتقادية والعملية . .

ونعتقد ان الافضل بالاطلاق الصحابة الكرام رضي الله عنهم وذلك لادلة واضحة :

الاول: انهم كانوا هم المخاطبين بالذات في قوله تعالى ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾[1]

الثاني: انهم هم الذين اعتنقوا دين الاسلام اولا وهم الذين طبقوه وهم الذين جاهدوا لنشره في العالم بالتضحية بانفسهم واموالهم في مقابل ذلك، فكان عالم الاسلام بساتين فيها اصناف الاشجارة المثمرة والاوراد والازهار، وان دماءهم مياه لسقيها ونموها الى الاثمار.

الثالث: ان الله تعالى مدحهم عموما وخصوصا في آيات كثيرة فقال : ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ترايهم

نعيم في الحلية بلفظ (خيركم قرني . . .) واحمد جـ٤/ ٤٢٧/ ٤٣٦ .

ومن طريق ابي بشر عن عبدالله بن شقيق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (. . . قال ابو هريرة: لاأدري اذكر مرتين اوثلاثا) رواه الامام احمد جـ٢/٢٢٨/ ٤١٠/ ٤٧٩ .

ومن طريق قتادة عن زرارة بن ابي اوفى عن عمران بن حصين بلفظ (خير امتي) رواه ابو داود جـ٤/٢١٤/ ٤٦٥٧ واحمد جـ٤/٤٢٦/ ٤٤٠ وابو نعيم في الحلية جـ٢/٧٨ .

ومن طريق خيثمة والشعبي عن النعمان بن بشير. رواه احمد جـ٤/٢٦٧/٧٧ وابو نعيم في الحلية جـ٤/١٢٥ .

ورواه ابن ماجة من طريق آخر جـ٢/٧٩١/ ٢٣٦٢ والترمذي جـ٣/٢٠٧ بهامش تحفة الاحوذي جـ٣/٢٥٦ ط الهند .

(١) آية (١١٠) سورة آل عمران .

ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود﴾[1] وقال: **﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما﴾**[3]. وقال: **﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا﴾**[4] وقال: **﴿والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم﴾**[2].

(ترتيب الافضلية بين الصحابة)

ونعتقد ان افضل الامة ابوبكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ثم الحسن المجتبى ثم الحسين الشهيد ثم باقي العشرة المبشرة ثم حمزة سيد الشهداء ثم العباس عمّه ﷺ، وفي الحديث ان خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وعائشة الحمراء وآسية بنت مزاحم، سيدات نساء اهل الجنة .

ثم اهل غزوة بدر الكبرى ثم اهل غزوة احد ثم اهل بيعة الرضوان في الحديبية رضي الله تعالى عنهم اجمعين.

ونعتقد ان الخلافة كانت على الترتيب المقرر فسيدنا ابوبكر الصديق اول خلفائه ﷺ لادلة:

---

(١) آية (٢٩) سورة الفتح.

(٢) آية (١٠) سورة الفتح.

(٣) آية (١٨) سورة الفتح.

(٤) آية (١٠٠) سورة التوبة.

الاول: انه عينه الرسول ﷺ اماما للمسلمين في مرض وفاته وامر بسد الخوخات النافذة الى المسجد الشريف الا خوخة ابي بكر، والامامة كانت وظيفة سيد الانام عليه السلام في حياته ومن عينه الرسول ﷺ لايجوز عزله.

الثاني: انه وقع الاجماع على خلافته ومن وقع الاجماع على خلافته فهو خليفة بحق وتوقف سيدنا علي كرم الله وجهه لم يكن لانكار استحقاقه الخلافة وانما كان لاندهاشه بوفاة الحبيب ﷺ، اوكان يجب ان يستشار ويكون له رأي في ذلك. ولو كان لعدم الاستحقاق لا ظهره اذ لم ياخذه في الله لومة لائم.

الثالث: انه تحقق فيه قوله تعالى: ﴿ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون﴾[1] فانه كان هو الداعي الى قتال اهل المنع من اداء الزكاة، وقد نصره الله تعالى عليهم كما انه دعى الى قتال مسيلمة الكذاب فاباده واتباعه.

الرابع: أنَّ خلافته كانت موافقة لقوله ﷺ (الخلافة من قريش ماطاعوا الله)[1].

ولو سلمنا جدلا انه لم يكن افضل فلا يقدح ذلك لان امامة المفضول مع وجود الفاضل جائز.

---

(١) - آية (١٦) سورة الفتح.

(١) روي هذا الحديث بالفاظ متقاربة ومن طرق متعددة:

رواه احمد جـ٣/١٢٩ والبيهقي جـ٣/١٢١ وابونعيم في الحلية جـ٨/١٢٢/١٢٣ من طريق بكير بن وهب الجزري قال: قال لي انس بن مالك: احدثك حديثا ماحدثه كل احد وذكره بلفظ (الائمة ...).

ورواه ابونعيم من طريق الطيالسي عن ابراهيم بن سعد عن ابيه سعد بن انس جـ٣/١٧١ الحلية.

ولـو نظـرنـا الى ماقـام به من المهمات من قتال قبائل المرتدين وقتال مسيلمة الكذاب وجنوده الاشداء الاشقياء،وتجهيزه جيش اسامة بن زيد في ذلـك الـوقت الضيق تطبيقـا وتكميـلا لمـا امـر به الرسول، وجمعه للقرآن الكـريم وصيـانتـه عن الضيـاع لكفى شاهـدا على صدق القول في فضله وشهامته واستحقاقه للخلافة الشريفة.

فأن قال واحـد: بل كان سيـدنـا علي بن ابي طالب احق بالخلافة منه للنص على خلافته او قرابته وكونه هاشميا.

قلنـا: لو كان المـرجح القرابة لكان الاحق بها هو العباس لكونه عمّه، ولو كان هناك نص ماكان ليسكت عن اظهار ذلك النص ذلك الرجل الشهم الـرشيـد الرفيع المقام بين الاصحاب والعزيز الجانب بكثرة عشيرته وقرابته من قريش.

ومن طريق محمـــد بن سوقـة عن انس رواه ابـو نعيم جـ٥/٨، قال ابـو نعيم: غريب من حديث محمد، تفرد به حماد، موجودا في كتاب جده.

ومن طريق الصعق بن حزن ثنا علي بن الحكم البناني عن انس. رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،ووافقه عليه الذهبي جـ٤/٥٠١.

ومن طريق سكين بن عبد العزيز ثنا سيار بن سلامة ابو المنهال فقال: دخلت مع ابي علي ابن برزة.. قال: .. رواه احمـد جـ٤/٤٢١/ ٤٢٤ وابـو يعلىٰ والبـزار. جـ٥/١٩٣ مجمع الـزوائـد،قال في المجمـع: رجـال احمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهوثقة، ورواه الطبـراني في الكبيـر من طريق آخـر جـ١/٢٥٢/ رقم ٧٢٥. واحمد من طريق بكير بن وهب الجزري عن انس: جـ٣/١٢٩/١٨٣.

ومن طريق فيض بن الفضل البجلي ثنا مسعر بن كدام عن سلمة بن كهيل عن ابي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بلفظ (الائمة ..) رواه الحاكم جـ٤/٧٥/٧٦.

وروي من طرق اخرى وبالفاظ متعددة. راجع فتح الباري جـ١٣/١٠١ فقد ذكر الشيء الكثير وراجع مجمع الزوائد جـ٥/١٩٢ ومابعدها.

ولـو قلت انـه سكت عن دعـواه لكثـرة تقواه .

قلنا: وفور التقوى يزيد طاعة النص وطلب تطبيقه، ولو لم يكن ابو بكـر هو الخليفـة الحق بعـد رسـول الله ماكان تقسيمه للغنائم صحيحا، ومـاكـان يقبـل من ابي بكـر الجـاريـة الحنفيـة التي ولدت له محمد بن الحنفية افضل آل البيت علما ماعدا ابن عباس رضي الله عنهما.

ولـو قلت: انـه اخـذه لاستحقـاقه لها في نفس الامر.

قلنا فلم قبل كتابة العهـد لعمـر بن الخطـاب ولم يُثِر الناس عليه؟ ولو سكت تقية ماكان يقبل خلافـة عمـر الفـاروق،ولـو قبلهـا لبعض الاعتبـارات مـاكـان يزوجه بنته ام كلثوم، لان عليا كان شهما شجيعا مقداما لايخاف في الله لومة لائم قائم، ولـو اغمضنـا العيـون عن كل ذلـك ماكان يرضى عندما جعل عمر الخلافة شورى بينـه وبين رفقـائـه الخمسة وكان يقول: انا الخليفة الحق ولا معنى للمشـاورة مع وجـود النص. علاوة على ذلـك كيف يقبل العقل السليم ان امـامـا شهمـا شريفـا مطـاعا شجاعا لايخاف أحداً يسكت عن دعوى حقه المشروع في الخلافة سنين عديدة وازمنة مديدة ولا يطبق نص الرسول ﷺ في حقه وهو سيد العارفين ويخالف امر الرسول الحبيب واخباره له بقوله: انت الخليفة بعدي،فالحق ان سكوته كان حقا وكلام الناس في حقه باطل.

وبعـد ثبـوت خلافـة ابي بكـر الصـديق ثبتت خلافـة عمـر الفـاروق باستخـلاف ابي بكـر ايـاه لانهـا كانت بامـر الخليفـة المطـاع لقوله تعالى: **﴿يـاايهـا الـذين آمنـوا اطيعـوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم﴾**[1]
وبعـد ثبـوت خلافتـه انظـر الى شهـامته وشجاعته واعماله التي قام بها من

---

(١) آية (٥٩) سورة النساء.

ترتيب الامور وتطبيق العدل في الاحكام وهيمنته على امة الاسلام ومخافة الكفرة اللئام من هذا الخليفة المقدام، وانظر رجاء الناس في رحمته وبث الامن والامـان في رعيتـه وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر برمته وانظر الى سوقـه الجيـوش المنصـورة لاكمـال فتـح شبه جزيرة العرب والى حربة مع الفرس شرقا ومع الروم شمالا ومع الاقباط غربا وانظر اليه كيف فتح العراق وايـران وفتـح فلسطين والشـام ودخـل بيت المقـدس وسَخَّر الاعداء اللئام وكيف فتح ديار مصر الواسعة ووديان النيل النافعة.

وانظـر الى عفـوه عنـد مقـدرته وعدالته في حكمه وسيرته ورعايته اهل الذمة مثل سائر الامة وانظر الى انه بعد فوزه بالاستشهاد كيف ابعد هذا الامر عن نسله وجعله شورى بين ستة من كبار العشرة المبشرة وقوفا مع قوله تعالى: ﴿**وامرهم شورى بينهم**﴾[٢] علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعـد بن أبي وقـاص رضي الله عنهم، فاختـاروا بينهم عثمـان بن عفان رضي الله عنه، ومن هو عثمان؟ هو ذو الهجرتين من مكة الى الحبشة والهجـرة الثـالثـة الى المـدينـة المنورة،صاحب النورين بنتي الرسول ﷺ واحـدة بعـد الاخـرى ومشتـري الجنـة مرتين في اشتـراء بئـر رومـة لسقي المهاجرين في ايام الغربة وتجهيز جيش العسرة،جامع القرآن الكريم على قراءة قريش حيث انـه نزل بلغتهم،وذلـك بتأليف لجنـة شريفة امينة مهتمة واشـراف الامـام علي رضي الله عنـه عليهما، وبـذلـك الامر الخطير جمع المسلمين على طريق السـلامـة عن الشقـاق والنفـاق والبغضـاء في تلاوة كتاب الله تعالى.

عثمـان كهف الحيـاء والايمـان، عثمـان منبع العدل والامان، عثمان صاحب الصـدق والصبـر عنـد هجـوم اهل الشر والعدوان وماخلع قميص

---

(٢) آية (٣٨) سورة الشورى.

خلافتــه حتى استشهــد على قراءة قولـه الكـريم:﴿فسيكفيكهم الله وهـو السميع العليم﴾[1].

ولمـا استشهـد ولحق بالـرفيق الاعلى آل الامر الى سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنـه باجمـاع اهـل الحل والعقد من المسلمين،ولم ينازعه احـد في استحقـاق الحق ، لكنه جرى قلم القضاء بخلاف من معاوية ابن ابي سفيـان بن حرب بن اميـة بن عبـد شمس ابن عبـد المنـاف ابن عمـه بدرجـات ، وهـو احـد كتاب الوحي الاثنين والاربعين واخو ام المؤمنين ام حبيبـة زوجـة الـرسـول ﷺ ، لا لانكار الخلافة بل لطلب توقيف المتهمين بقتـل سيـدنـا عثمـان ومحاسبتهم ، فابى واعتذر بعدم مناسبة الوقت لذلك فحـدث ماحـدث هنـالـك مع الاسف ﴿وكان امر الله قدرا مقدروا﴾[2] ثم خرحت الخـوارج وكفّـروا من كفَـروا وعـزموا على قتل سيدنا علي ومعاوية وبعض اخر فاصيبا ، لكن فاز الامام بالشهادة وشوفي معاوية بالتداوي على العادة ، ولما كان للطرفين تأويلات نمسك عن ذكرهم وذكر الوقائع صيانة للادب .

وبعـد وفـاة الامـام بويـع الامـام الحسن المجتبى رضي الله عنـه وقام بالخلافة ستة اشهر فكان تاجها يتباهى به لا هو بها ، ثم فتح باب التفاهم بينه وبين معاوية رضي الله عنهما فتنازل له على شروط قرروها وتحقق فيه قول جده ﷺ (ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من

---

(١) سورة الاحزاب آية (٣٨) .

(٢) آية (١٣٧) سورة البقرة .

المسلمين)[1] فالكلام بعد ذلك ان كان لرعاية الحق فصاحب الحق سلمه اليه وان كان لنشر الباطل فذلك عمل العاطل،والله عليم بما كان ويكون ﴿تلك امة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾[2].

الائمة المجتهدون

ونعتقد أنّ الائمة المجتهدين من الصحابة والتابعين وتابع التابعين كانوا على حق، ذلك لانه لما كان الناس مكلفين بالاحكام وقد فات عهده ﷺ ليسألوه ويأخذوا الجواب منه لم يكن بُدٌّ من السعي في تحصيل العلم بالاحكام ونشرها بين المسلمين، فجدوا وسعوا سعيا حثيثا الى ان ميزوا بين النص والظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ، واطلعوا على موارد نزول الآيات، واسباب السنن

---

(١) رُوي هذا الحديث عن الحسن البصري عن ابي بكرة:

وراه البخاري من طريق سفيان حدثنا ابوموسى عن الحسن سمع ابا بكرة: جـ٥/٢٢٥/ جـ٧/٧٤ جـ١٣/٥٢/ ٥٣/ ٥٤/ ٥٥/ ٥٦/ ٥٧ بهامش الفتح والنسائي جـ٣/١٠٧ واحمد جـ٥/٣٧/ ٣٨.

ومن الفاظه: (ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

وقد صرح الجميع فيما سبق بسماع الحسن من ابي بكرة، وانه الحسن البصري. قال ابو عبدالله محمد ـ البخاري ـ: قال لي علي بن عبدالله ـ اي ابن المديني ـ انما ثبت لنا سماع الحسن من ابي بكرة بهذا الحديث جـ٥/٢٢٥ بهامش الفتح.

ومن طريق حماد بن زيد ثنا علي بن زيد عنه، رواه ابو داود جـ٤/٢١٦/ ٤٦٦٢ واحمد ٥/٤٩، ومن طريق المبارك بن فضالة عنه رواه احمد جـ٥/ ٤٤/ ٥١ وابو نعيم من طريقه ثنا الوليد الطيالسي عن المبارك عنه، ٤٨٦ دلائل النبوة، ومن طريق حماد بن سلمة انا زياد الاعلم عن الحسن رواه احمد جـ٥/٤٥، ومن طريق آخر رواه ابو داود جـ٤/٢١٦.

(٢) آية (١٣٤ و١٤١) سورة البقرة.

النبـويـة، وفـرقـوا بين المتـواتـر منهـا والآحـاد وبين المشهـور وغيره وبين الـصـحيـح والحسن والضعيف من حيث الاسنـاد، واطلعـوا على مواد الاجماع والاختلاف والاكثرية والاقلية واطلعوا على اقوال علماء الصحابة ومـواد التعـارض بين الادلـة الظنيـة واكتسبـوا العلم بالمرجحات، وبذلك صاروا مستعدين للاستدلال حيث صاروا متفقهين وفاهمين للاحوال، وقد قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين﴾[1] وقـال: ﴿فـوق كل ذي علم عليم﴾[2] وقـال ﷺ (اذا حكم الحـاكم واجتهـد واصـاب فله اجران واذا حكم واجتهد واخطأ فله اجر)[3] اخذوا يجتهدون وظهر في المسلمين مجتهدون كثيرون، ومنهم الامام ابو

---

(١) آية (٦٩) سورة العنكبوت.

(٢) آية (٧٦) سورة يوسف.

(٣) رواه البخـاري جـ١٣/٢٦٨ بهـامش الفتح جـ١٢/١٣ بهامش النووي وابو داود جـ٣/٢٩٩ وابن ماجـة جـ٢/٧٧٦/٢٣١٤ واحمـد جـ٤/١٩٨/٢٠٤ من طريق عبـدالله بن الهـاد عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بسر بن سعيد عن ابي قيس مولى عمرو بن العاص انه سمع رسول الله ﷺ:

ورواه النسائي جـ٨/٢٢٣ والدارقطني جـ٤/٢٠٤ من طريق عبد الرزاق قال: انبأنا معمر عن سفيـان عن يحيى بن سعيـد عن ابي بكـرة بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابي سلمة عن ابي هريرة، بلفظ آخر.

ورواه الدارقطني جـ٤/٢٠٣ واحمد جـ٤/٢٠٥ من طريق الفرج بن فضالة، قال: حدثنا محمـد بن عبـد الاعلى، ومن طريق فيـه الفـرج بن فضالة، تابعة ابن لهيعة ولفظه (اذا قضى القاضي فاصاب كانت له عشرة اجور، واذا قضى فاجتهد فأخطأ كان له اجران). واللفظ الذي قبله (وان اخطأت فلك أجر واحد). جـ٤/٢٠٣.

ورواه احمد من حديث عمرو بن العاص بلفظ آخر ٤/٢٠٥ وهو ضعيف، انظر تلخيص الحبير جـ٤/١٩٩.

ومن طريق آخر رواه الدار قطني جـ٤/٢٠٤.

حنيفـة نعمـان بن ثابت الكـوفي والامـام مالـك بن انس والامام محمد بن ادريس الشـافعي المطلبي والامـام احمـد بن حنبـل وغيـرهم كالسفيانين والسعيــدين والاوزاعي ، ولكن الله تعــالى وفق الائمــة الاربعـة لتـدوين مذاهبهم فاخـذ المسلمـون يعملون بها دون الآخرين،فلم يكن لهم الحظ الوافي في العمل بما اخذوه،وذلك لان الانسان اذا لم يدون مذهبه لايعلم طريق استنبـاطـه للاحكـام فان للاستنبـاط اصـولا مرعية مبنية على معرفة المفـردات والتـراكيب ودلالاتهـا ، فان الامـر يستعمـل للوجـوب والنـدب والابـــاحـــة والارشــاد وغـيــرهــا ، والــنـهـي يرد للتـحــريـم والكـــره والارشــاد وغيـرهـا ، والعـام قطعي الـدلالـة عنـد بعضهـا وظنيهـا عنـد آخر، والنهي يدل على الفساد عند بعض دون الآخر، والمتكلم يدخل في عموم كلامه عند بعض ويخرج عند آخرين ، فلا يعلم بدون تدوين مذهب المجتهد كبقية استنباطه للاحكام .

فتقـرر أنَّ من دون مذهبـه يعمـل باقـواله ومن لـم يـدون لـم يعمـل بهـا ، وبـذلك صار المجتهدون المشَرَّفون مصابيح الآفاق للانام ومقاييس استنباط الاحكام ودرج على مفاهيم العلماء عملا بقوله تعالى : **﴿فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾**[1] وبقوله : **﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾**[2] .

ومن وصـل الى درجـة اولئـك الفقهـاء علمـا فله حظـه،ولا مانع من ان يعمل بالنصوص من الكتاب والسنة حسب قوته واستعداده ، ومن لم يصل اليهـا وجب عليـه تقليد احد الائمة المجتهدين،ولا يجوز له قطعا ان يستبد

---

(١) آية (٤٢) سورة النحل وسورة الانبياء آية (٧).

(٢) آية (٧٦) سورة يوسف .

باخذ الاحكام، قال تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾[1] .

والسلف الصالحون كانوا على هذا المسلك، اي ان من وصل اليها استبد بالاخذ منهما ومن لم يصل توقف سائلا عمن يأخذ بيده، والائمة الكبار الذين لم يقلدوا احدا كانوا علماء بالكتاب والسنة على المنهج الذي بينته، وهم امثال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والاوزاعي والسفيانين،وغيرهم من الناس العامة الذين لاعلم لهم يجب عليهم التقليد والا فاللامذهبية طريق للطريد الشريد ﴿**افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أمّنْ يمشي سويا على صراط مستقيم**﴾[2] قال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني**﴾[3] .

آداب الاولياء والصالحين

ونعتقد ان الاداب التي حمل بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين والاخرون منهم كالقاسم بن محمد وجعفر الصادق والحسن البصري ومن اقتدى به المشهور الآن بطريقة جنيد بن محمد حق مبني على اتباع الكتاب والسنة السنية والاخذ بالعزائم والورع عن الشبهات وتزكية النفس عن الرذائل والدناءات وتحليتها بالفضائل من الاعتقادات والاعمال الصالحات، وليس فيها انحراف قيد شعرة، وذلك ظاهر عند اهل الشعور.

---

(١) آية (٩) سورة الزمر.

(٢) آية (٢٢) سورة الملك.

(٣) آية (١٠٨) سورة يوسف.

وايضاح المقام انهم لما تلوا من آيات الكتاب قوله تعالى : ﴿**قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾[1] وقوله : ﴿**قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها**﴾[2] وقوله الكريم خطابا للحبيب : ﴿**ولاتكن من الغافلين**﴾[3] وقوله : ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾[4] وقوله : ﴿**ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه**﴾[5] وقوله : ﴿**افرأيت من اتخذ الهه هواه**﴾[6] وقوله : ﴿**واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى**﴾[7] وقوله تعالى : ﴿**اتقوا الله ويعلمكم الله**﴾[8] وقوله : ﴿**فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾[9] وقوله : ﴿**قد افلح المؤمنون**

---

(١) آية (١٤ ـ ١٥) سورة الاعلى.

(٢) آية (٩ ـ ١٠) سورة الشمس.

(٣) آية (٢٠٥) سورة الاعراف.

(٤) آية (٥٢) سورة الانعام.

(٥) آية (٢٨) سورة الكهف.

(٦) آية (٢٣) سورة الجاثية.

(٧) آية (٤٠ ـ ٤١) سورة النازعات.

(٨) آية (٢٨٢) سورة البقرة.

(٩) آية (٦٥) سورة الكهف.

الـذين هم في صلواتهم خاشعـون والـذين هم عن اللغـو معرضـون﴾[1] وقـولـه : ﴿**وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون**﴾[2] وقوله : ﴿**ومامروا الا ليعبـدوا الله مخلصين له الـدين**﴾[3] وقـولـه : ﴿**الا لله الـدين الخالص**﴾[4] وقـولـه : ﴿**يـاايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[5] وغيرها من الآيـات الكـريمـة المـوجهـة للقلوب الى الله تعالى والمحرضة على ذكره والاشتغـال بمـا يقـرب العبد اليه ، كقوله تعالى : ﴿**فاذكروني اذكركم**﴾[6] وقوله : ﴿**واذكروا الله كثيرا**﴾[7] وقوله تعالى : ﴿**والذاكرين الله كثيرا والـذاكـرات**﴾[8] وقـوله : ﴿**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكـرون في خلق السمـوات والارض**﴾[9] وقـوله تعالى : ﴿**الا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[10] الى غيرها من آيات الذكر التي كادت ان تساوي آيات الاحكـام ، ورأى الصـدر الاول حضـرة الرسول ﷺ متصفا برعايتها ومطبقا لمـدلـولهـا بقـدر الامكـان وصـائمـا وقائما ودائم الذكر وكثير الحزن ووافر الحضور والرهبة من هيبة ربه القدير العليم ، ورغّب الامة فيها وفي الجهاد والاجتهـاد والتقـرب منه تعالى والابتعاد عن زخارف الدنيا الدنية ومطامعها

---

(١) آية (١ ـ ٢) سورة المؤمنون .

(٢) آية (٥٦) سورة الذاريات .

(٣) آية (٥) سورة البينة .

(٤) آية (٣) سورة الزمر .

(٥) آية (١١٩) سورة التوبة .

(٦) آية (١٥٢) سورة البقرة .

(٧) آية (٤٥) سورة الانفال .

(٨) آية (٣٥) سورة الاحزاب .

(٩) آية (١٩١) سورة آل عمران .

(١٠) آية (٢٨) سورة الرعد .

الفاسدة الوقتية اقبلوا على تطبيق الدين بالمعنى الكامل اعتقادا وعملا وذكرا وفكرا وصياما وقياما وجهادا في سبيله فصاروا اقباسا مشعلة مستنيرة من الرسول ﷺ واخلاقه العظيمة واعماله الكريمة وصدره السليم المالىء من الحكمة كالبحر المحيط الهادي ، فاخذ كل بقدر احسان الباري من مياه الحياة والسعادة الابدية مااخذوا واستفادوا من ذلك الفيض الجاري انهارا جارية الى قلوب الموفقين من عباد الله وغرسوا اشجار الحكمة في العالمين وسقوها بما عندهم من ذلك النهر الجاري الى يوم الدين فتحقق بذلك مصداق قوله تعالى خطابا لحبيبه الامين: ﴿ومارسلناك الا رحمة للعالمين﴾[1].

فتبين ان ماكانوا عليه هو حقيقة الايمان والاسلام ، لانهم اقتبسوا من نور الحبيب فسعوا في سلوك سبيله بالاستقامة واتبعوا سنته السنية بالعافية والسلامة فانشرحت صدورهم واطمأنت قلوبهم وزالت عن عيون بصائرهم الصافية غشاوة الغباوة فصفت سريرتهم وحسنت سيرتهم وتركوا منازل الاهواء وصعدوا الى مشاهد المراقبة والحضور مع الله ففاضت عليهم الانوار بلا حساب وانكشفت مام قلوبهم الحجاب ورأوا بعيون البصيرة مايدهش العقول والالباب فصاروا اقباسا من النور وحصل لمن سلك سبيلهم وجالسهم واستأنس بآدابهم الشهود والحضور، فكلما صعدوا على مصاعد العلو في المقام نزلوا على منازل التواضع مع الانام وكلما زادت رفعتهم زادت رهبتهم من الملك العلام وبذلك خدموا دين الاسلام وادبوا امته بفضائل الاخلاق وصاروا سادة في الآفاق، وقد الهم كثير منهم امورا نافعة في الدنيا والدين وظهرت منهم كرامات وخوارق مكشوفة لاهل اليقين،

---

(١) آية (١٠٧) سورة الانبياء.

وذلـك من توابـع معجزات المرسلين وكفاك منها ماظهر لمريم بنت عمران فقـال تعـالى : ﴿**كلمـا دخـل عليهـا زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حسـاب**﴾[١] ويتلو ذلـك من الكتـاب ماظهر على يد آصف بن برخيا حيث يقول الباري جل شأنه : ﴿**وقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتـد اليـك طرفـك فلمـا رآه مستقـرا عنده قال هذا من فضل ربي**﴾[٢] وفـوق مقـدار الكـافي ماجـرى على اصحـاب الكهف ﴿**فلبثوا في كهفهم ثلاثمـائـة سنين وازدادوا تسعا**﴾[٣] ويحقق وجود الكرامة قوله تعالى : ﴿**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾[٤] وكيف لايسكن قلب المسلم عندما يتلو قولـه تعـالى:﴿**ام حسب الـذين اجتـرحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**﴾[٥] .

وفي الاحــاديث الشــريفـة مايكفيكم اويغنيكم حيث روى الـرسـول الكريم عن ربه تبارك وتعالى قوله:﴿**ومازال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبـه فاذا احببتـه كنت سمعـه الـذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده**

---

(١) آية (٣٧) سورة آل عمـران .

(٢) آية (٤٠) سورة النمل .

(٣) آية (٢٥) سورة الكهف .

(٤) آية (٣٠) سورة فصلت .

(٥) آية (٢١) سورة الجاثية .

التي يبطش بها ولئن سألني لاعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه)[1] رواه البخاري .

والذين يأتون الناس بما لايرضى به الله ورسوله من تحقير شؤون اولئك الصالحين ونسبتهم الى البدعة والضلال فاولئك هم احق بتلك النسبة ، لانهم طبقوا الكتاب والسنة حقا فافاض عليهم ربهم ماافاض جزاء وفاقا ، ومايتفوهون به من ان تلك الامور لم تكن في عهد الرسول واصحابه وانما هي من المحدثات فليس له نصيب من الصواب فان الدين الاسلامي له

---

(١) رواه البخاري جـ ١١ / ٢٩٢ عن ابي هريرة ، ورواه احمد من طريق عبد الواحد مولى عروة عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (من اذل لي وليا فقد استحل محاربتي ، وماتقرب الي عبدي بمثل اداء الفرائض ، ومايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، ان سألني اعطيته وان دعاني احببته ، ماترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن وفاته ، لانه يكره الموت واكره مساءته) . قال ابي - اي احمد بن حنبل - وقال ابو المنذر قال : حدثني عروة قال : حدثتني عائشة ، وقال ابو المنذر (آذى لي) . جـ٦ / ٢٥٦ .

وروواه ابن ماجة مختصرا عن معاذ بن جبل بلفظ اخر وجزءا منه جـ٢ / ١٣٢٠ / ٣٩٨٩ . وفيه ابن لهيعة .

وروي من طرق ؛ منها مارواه احمد في الزهد وابن ابي الدنيا والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها . ومنها عن ابي امامة اخرجه الطبراني والبيهقي في الزهد بسند ضعيف ومنها عن علي عند الاسماعيلي في مسنده عن علي وعن ابن عباس اخرجه الطبراني وعن انس اخرجه ابويعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف وعن حذيفة اخرجه الطبراني مختصرا وسنده حسن غريب وعن وهب بن منبه مقطوعا اخرجه احمد في الزهد . راجع مجمع الزوائد جـ٢ / ٢٤٧ / ٢٤٨ جـ١٠ / ٢٦٩ / ٢٧١ والمعجم الكبير للطبراني جـ٨ / ٢٠٦ رقم ٧٨٣٣ وجـ٨ / ٢٢١ رقم ٧٨٨٠ . وكتاب الزهد للبيهقي ٦٩٦ .

وروواه الحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل بلفظ (من عادى ولي الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يُفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة) قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي جـ٤ / ٣٢٨ .

ثلاث دعائم :

الواجبات عينا وكفاية اعتقادا وعملا .

والسنة المؤكدة كذلك .

والسنة غير المؤكدة من النوافل والتطوعات .

والرسول واصحابه اتوا بجميع مافي الدعامتين الاوليين الا ماشذ وندر، ولم يقع لهم واقعة ، واما الدعامة الاخيرة فلم يستوعبوه . ولن يستوعبه جميع الامة الى يوم الدين لانها تطوعات داخلة في عموم الافكار والاذكار والحسنات وسائر وجوه البر،وقال تعالى : ﴿ومن تطوع خيرا فهو خير له﴾[1] وقال :﴿ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾[2] وقال : ﴿واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[3] وقال :﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا﴾[4] الى غير ذلك من الآيات الصريحة في توسيع دائرة الاعمال الصالحة من النوافل والمستحبات ومايبديه الانسان من نفسه حسب ممارسته للخيرات .

والضباط هنالك هو النهي،فاذا ورد نهي خاص عن تطوع مخصوص فذلك يترك ولا يعمل به ، ومن لم يفتهم الدعامات الثلاث فهو من الجاهلين بالدين .

وتبين من هنا ان معنى المحدثات والاحداث في حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحديث ابي نجيح عرباض بن سارية السلمي هو

---

(١) آية (١٨٤) سورة البقرة .

(٢) آية (١٥٨) سورة البقرة .

(٣) آية (٧٧) سورة الحج .

(٤) آية (٢٠) سورة المزمل .

الــذي خالف الـدين وعـارضـه بالاخـلال بشـرط من الشـروط اوركن من الاركان او فرض شيء لم يكن مفروضا او ندب مالم يكن مندوبا ، والا وقع الانسان في مشاكل ومزالق لايخلص منها الى اللقاء ، ومايقال من ان تلك الصـورة او الهيئـة الاجتماعية او الانفرادية لم تكن سابقا فهو مذموم فمردود بان الامـور المطلقـة اجنـاس مبهمـة مدلـولهـا الافـراد المنتشرة ، والاوامر المطلقة تبقى على اطلاقها،والا فأيُّ عمل من الاعمال حتى من الواجبات انما يحصل في بعض الازمنة او الامكنة او الاحوال التي لم تكن مقصورة في البال فضلا عن وجوده في عهده ﷺ .

فاعلموا ان المدار على النهي الوارد لا على طعن الجاهل المارد اعاذنا الله تعالى واياكم من شبكة الوسواس الملقاة امام الناس وعلى الله التوكل وبه الاعتصام .

ثم ان اي عمل مشروع قام به اولئك الصالحون او اتباعهم من الخلوة والـذكـر والصيـام والقيـام والجوع والسهر وقلة الكلام والمنام والطعام كان نظيـره موجـودا في الـرسـول واصحـابه اصحاب الصُفَّة الذين داوموا على عبـادة الله تعـالى في الايام والليالي ، وكلما اقتضى الامر خروجهم للجهاد في سبيل الله كانوا حاضرين وناصرين لدين الله .

وامـا حمـل تلك الاعمـال الشـريفة على مايسمى بالرهبانية ويقال في ردهـا [لارهبـانيـة في الاسـلام] فعمـل من لايخـاف ربه ولايرهب منه ولا ينصف ، لان الاعمال التي يقوم بها اهل التقوى من المسلمين لها اساس في الدين ويدخل في التطوع ، واما الرهبانية المتمثلة في التبتل والانقطاع عن العائلة والامور الاجتماعية الاسلامية فلم يكن لها اصل في دين عيسى

عليه السلام،كما يقول تعالى : ﴿**ورهبانية ابتدعوها**﴾[1] على انهم لو كانوا يراعونها حق رعايتها ماكانت ترد عليهم،ولذلك قال تعالى: ﴿**وكثير منهم فاسقون**﴾[2] اي واما القليل من الذين راعوها حق رعايتها فهم صادقون .

والـدليـل على ذلـك تقـريـر الـرسول ﷺ لاحوال اهل الصفة ولم ينكر عليهم قطعا .

وانمـا اطنبت الكـلام في المـوضـوع كي يفتهم المسلمـون ان تلك الاحـوال والاعمـال التي قام بها اهل الصفة ويقوم بها الزاهدون في العالم الاسلامي حق يجب النظر اليها بالتسليم .

المقصـد السادس ممـا اخبـر بـه ﷺ ـ المعاد الجسماني

وهـو ان تحشـر الاجسـاد وتعـاد فيها الارواح سواء كان بجميع الاجزاء الاصليـة المـوجـودة المجتمعة او المتفرقة المتحولة ، فان عقيدة المؤمنين على ان الارواح حادثـة ومخلوقـة من العدم،وبعد خلقها لاتفنى وهي تبقى خالدة،واذا مات الانسان خرجت عنه الروح ، اي انقطعت علاقتها الكاملة بالبدن لكنِ تبقى لها علاقة،كما بين عالم الدنيا وعالـم الآخرة ، فاذا جاء يوم البعث والنشور تعود الارواح الى اجسادها الاصلية كما في عالم الدنيا بل اقوى .

وذلـك المعـاد جائـز عقـلا وثـابت نقـلا وعليه ادلة قاطعة لامجال فيها للريب،وهذا لمعاد انما يكون بعد خراب هذا العالم الموجود المحسوس .

والخراب يكون بنفخ اسرافيل في الصور بامر الله تعالى فتتزلزل الارض وتندك الجبال،قال تعالى : ﴿**ويسئلونك عن الجبال** فقل ينسفها ربي نسفا

---

(١) آية (٢٧) سورة الحديد .

(٢) آية (٢٧) سورة الحديد .

فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا﴾[1] وتنفطر السموات وتكور الشمس ويخسف القمر وتتناثر الكواكب ويتغير منار الكائنات **﴿يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبروز لله الواحد القهار﴾**[2] قال تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾**[3].

ولما كان احوال اهل البرزخ من مقدمات الآخرة استحب ان نذكرها قبل المعاد.

سؤال الملكين

فنقول: اذا مات الانسان باي سبب كان في البر اوفي البحر ودفن ام لم يدفن وبقي جسده اومُزِّق دخل في طور آخر من السعادة او الشقاء وذلك باعادة علاقة الروح اليه بقدر مايتنعم اويتعذب او يتألم، فان سؤال الملكين عنه ثابت ونعيمه اوعذابه في البرزخ حق وواقع، وتخصيص القبر بالذكر في الحديث الشريف للغالب. كما في قوله ﷺ: (اذا قبر الميت اتاه ملكان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلق اجمعين؟ فان كان مؤمنا فيقول هوعبدالله ورسوله، اشهد أنْ لا اله الا الله واشهد أنْ محمدا عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنَّكَ تقول هذا، ثم يفتح له في قبره سبعين ذراعا في سبعين ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له: نَمْ، فيقول: ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له: نَمْ كنوم العروس الذي لايوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله

---

(١) آية (١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧) سورة طه.

(٢) آية (٤٨) سورة ابراهيم.

(٣) آية (٦٨) سورة الزمر.

تعالى من مضجعه ذلك. وان كان منافقا فيقول: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم، لاادري، فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول ذلك، فيقال للارض: التأمي عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيه معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك)[1]. انتهى.

وظاهر هذا الحديث الشريف اختصاص الضغطة بامثال ذلك الانسان الذي لاجواب له ينفعه، ولكن الادلة متظاهرة على عمومها للاموات، وذلك الحديث الشريف دليل على سؤال القبر ويدل عليه روايات اخرى، وماصح انه ﷺ امر اصحابه ان يدعوا بالتثبيت لاخيهم المدفون، فقال: (سلوا الله لاخيكم التثبيت فانه الان يُسئل)[2].

وقال السيوطي في منظومته المسماة بالتبصرة:

(١) رُوي هذا الحديث بالفاظ متعددة ومن طرق عن قتادة عن انس: فمن طريق ابن رزيع حدثنا سعيد حدثنا قتادة جـ٣/ ١٦٥/ ١٨٨ البخاري بهامش الفتح. ورواه مسلم عن طريق يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة جـ ١٧/ ٢٠٣ بهامش النووي. والنسائي جـ٤/ ٩٧ واحمد جـ٣/ ١٢٦ ورواه ابو داود من طريق عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة جـ٤/ ٢٣٨/ ٤٧٥١ ومسلم جـ١٧/ ٢٠٤.

ورواه الترمذي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة جـ٢/ ١٦٢ بهامش التحفة. ومن طريق زريع المتقدم عن انس رواه مسلم جـ٧/ ٢٠٤ والنسائي جـ٤/ ٩٧ ورواه احمد من طريق روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة عن انس جـ٣/ ١٢٦ ورواه مسلم جـ١٧/ ٢٠٣ واحمد ٣/ ١٢٦ من طريق يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة، ومن طريق المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رواه احمد جـ٤/ ٢٨٧/ ٢٨٨ وابو داود جـ٤/ ٤٣٩/ ٤٧٥٣، وسأذكر الحديث بتمامه في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى.

(٢) رواه ابو داود جـ٣/ ٢١٥/ ٣٢٢١ حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي ثنا هشام عن عبدالله بن بحير عن هاني مولى عثمان عن عثمان ـ بن عفان ـ قال: كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ـ اي عنده ـ فقال: (استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسأل).

والآيــة الــسؤال فيــهــا كائــن ﴿يــثبــت الله الــذيــن آمــنــوا﴾[1]

يعني ان الـذين آمنـوا ايمانا صادقا واقروا باللسان به على وجه الصدق يثبت الله تعالى السنتهم على جواب الملكين بعد السؤال.

والادلـة على عذاب القبـر كثيـرة منها قوله تعالى في شأن غرقى طوفان نوح عليـه السـلام: ﴿اغـرقـوا فادخلوا نارا﴾[2] والفـاء للترتيب بلا فاصلة، فكـان ادخـالهم النـارفي عالم البـرزخ، ومنها قوله تعالى في شأن الاقباط: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب﴾[3] ومنها قوله ﷺ: (القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفـر النيـران)[4]. ومنها انه ﷺ مرَّ بقبرين فقال: (انهما ليعذبان ومايعذبان في كبيـر،بلى انـه كبير عند الله،اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الآخر فكان لايستبريء من البول)[5].

---

(١) آية (٢٧) سورة ابراهيم.

(٢) آية (٢٥) سورة نوح.

(٣) آية (٤٦) سورة غافر.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٠) قال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه.

(٥) رواه البخـاري جـ١/ جـ٣/ ١٨٩ جـ١٠/ ٣٩٢ بهـامش الفتـح ومسلم جـ١/ ١٦٦ بهـامش النـووي وابـوداود جـ١/ ٦/ رقـم ٢٠ والنـسـائـي جـ١/ ٢٨/ ٢٩/ ٣٠ والتـرمـذي جـ١/ ١٠٢/ ١٠٣ والـدارمي جـ١/ ١٨٨/ ١٨٩ وابن ماجـة جـ١/ ١٢٥/ رقم ٣٤٧ والبيهقي جـ١/ ١٠٤ واحمـد جـ١/ ٢٢٥. عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـا (... انهمـا يعـذبـان ومايعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان احدهما لا يستتر من بوله وكان الاخر يمشي بالنميمة، ثم دعـا بجـريـدة فكسـرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يارسول الله: لم فعلت هذا؟ قال ﷺ: (لعله ان يخفف عنهما مالم تيبسى) وهذا لفظ البخاري.

ورواه احمد من غير هذا الطريق جـ١/ ٣٩/ ٢٦٦ وورد الحديث بلفظ (الغيبة) بدل النميمة.

(التنعيم والتعذيب في القبر للروح والجسد)

ونعتقد ان العذاب في القبر للروح والجسد، وكذا التنعيم لكن الجسد جسد برزخي لايرى اثره بالعيون، فانا مؤمنون بان جبريل عليه السلام كان يتمثل احيانا بصورة انسان يراه الرسول ﷺ دون اصحابه الحاضرين عنده، قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء: اعلم ان لك ثلاثة مقامات في التصديق بامثال هذا:

احدها وهو الاظهر والاسلم والاصح ان تصدق بان الحية مثلا موجودة تلدغ الميت، ولكنا لانشاهد ذلك،فان هذه العين لاتصلح لمشاهدة تلك الامور الملكوتية، وكل مايتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، اما ترى ان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وماكانوا يشاهدونه، ويؤمنون بانه ﷺ يشاهده، فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك، وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي عليه الصلاة والسلام مالاتشاهده الامة فكيف لايجوز هذا في الميت..

المقام الثاني: ان تتذكر امر النائم،فانه يرى في النوم حية تلدغه وهو متألم بذلك، حتى تراه في نومه يصيح وتعرق جبهته وقد ينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولاترى في حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل له، ولكنه في حق غيره غير مشاهد، واذا كان العذاب الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد.

المقام الثالث: ان تعلم ان الحية بنفسها لاتؤلم، بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك

من السم ، فلوحصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان ذلك العذاب قد توفر وقـد كان لايمكن تعـريف ذلـك النـوع من العـذاب الا بان يضـاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة ، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمـات في النفس عنـد الموت،فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات . انتهى .

ونحن نرجح المقـام الاول ونستأنس له بوجـود الملك مع الانسان ولا يراه ، ووجود الجن مع الانسان عند الوسوسة ولا يراه ، والايمان هو الايمان بالغيب وامـا المشهود فلا تحتـاج الى مجهـود ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب﴾[1] .

ويجب ان يعلم ان عالم البـرزخ يستمـر الى حلول عالم الآخرة ، وفي هذا البـرزخ كمـا يوجد العذاب والنعمة تتزاور الارواح السعيدة بعضها مع بعض . . وجمهـور السلف على ان هذه الحيـاة حيـاة حقيقيـة وانها للروح والجسـد،ولكن الجسـد جسـد برزخي ولا يـدرك بالعين المجـردة في هذه النشأة ، وانمـا يدرك بعين البصيـرة لمن شاء الله ، وممن صرح بهـذا القول ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وجماعة من المفسرين .

وذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال : (مامن رجل يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه)[2] ويروي هذا من حديث ابي هريرة مرفوعا قال : (فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام)[3] .

---

(١) آية (٨) سورة آل عمران .

(٢و٣) رواها ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار، نقلها عنه القرطبي في التذكرة (١٤٥) قال صححه ابو محمد عبد الحق .

قال: يروى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (مامن رجل يزور قبر اخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم)[1].

واحتج الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما رواه ابو داود في سننه عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (مامن احد يسلم عليَّ الا رد الله عليَّ روحي حتى ارد عليه السلام)[2]. . وصح عن عمرو بن دينار انه قال: (مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون في اهله بعده وانهم يغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم)[3].

---

(١) - رواه ابن عبد البر كما تقدم قريبا.

(٢) رواه ابو داود جـ٢ / ٢١٨ واحمد جـ٢ / ٥٢٧ من طريق ثنا حيوة ثنا ابو صخر ان يزيد بن عبدالله بن قسيط أخبره عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: . . . ، واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود.

وقد روى احمد عن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: (يامعاذ انك عسى ان لاتلقاني بعد عامي هذا اولعلك ان تمر بمسجدي هذا اوقبري). فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت فاقبل بوجهه نحو المدينة فقال: (ان أوْلى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا). وقد رواه من طريقين آخرين وفي اثنين منهما راشد بن سعد. جـ٥ / ٢٣٥.

وقد روى الحاكم جـ٢ / ٥٩٥ عن ابي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: (ليهبطن عيسى ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا، وليسلكن فجا حاجا اومعتمرا او بينهما وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه).

يقول ابو هريرة اي اخي ان رأيتموه، فقولوا: ابو هريرة يقرئك السلام.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذا السياق، ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره في كتاب الروح قال: وصح عن عمرو بن دينار (١٧) ط النعمانية حيدر آباد الهند.

وقـد صح انـه ﷺ ذكـر لمجيء السـاعة امارات، قال حذيفة بن أُسيد الغفـاري رضي الله عنـه: (اطلع علينـا رسـول الله ونحن نتـذاكر، فقال: (ماتذكرون) قلنا: نذكر الساعة، قال: (انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيـات)، فذكـر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغـرب وخسف بجـزيـرة العـرب، وآخـر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم)[1].

والاحـاديث في هذا البـاب كثيرة والقدر المشترك منها يصل حد التواتر

---

(١) رواه مسلم في صحيحـه جـ١٨/٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨. وابـو داود جـ٤/١١٤/٣١١ وابن ماجـة جـ٢/١٣٤٧/٤٠٥٥ واحمد جـ٤/٦/٧ من رواية فرات القزاز عن ابي الطفيل عن حذيفة بن اسيـد قال: اطَّلع علينـا رسـول الله ﷺ ونحن نتـذاكـر، فقال: (ماتذاكرون)؟ قلنا: الساعة، قال: (انها لن تقوم السَّاعة حتى ترون قبلها عشر آيات) فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغـربهـا ونـزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجـوج ومأجـوج وثـلاثة خسوف: خسف بالمشـرق وخشف بالمغـرب وخسف بجـزيـرة العـرب، وآخـر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم). واللفظ لمسلم. ورواه غير واحد عن فرات القزاز. ورواه ابو الطفيل عن ابي سريحة.

قال الامام النووي هذا الاسناد مما استدركه الدارقطني وقال لم يرفعه غير فرات عن ابي الطفيـل من وجـه صحيـح قال ورواه عبـد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفا. أهـ. هذا كلام الدارقطني قال الامام النووي: وقد ذكر مسلم رواية ابن رفيع موقوفة كما قال، وهي في جـ١٨/٢٩ قال: ولايقدح هذا في الحديث فان عبد العزيز بن رفيع ثقة حافظ متفق على توثيقه، فزيادته مقبولة أهـ. جـ١٨/٢٧.

وقـد رواه الحـاكم من طريق آخـر مع اختـلاف يسير في اللفظ عن واثلـة بن الاسقع. قال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه عليه الذهبي. جـ٤/٤٢٨.

وذكرها بالتفصيل في الكتب المطولة لاسيما فتح الباري في بحث الدجال، وشرح صحيح مسلم للنووي في نزول سيدنا عيسى عليه السلام ومن اراد فليراجعها[1].

وفي صحيح البخاري في كتاب الفتن (ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها)[2]. . . .

واذا جاءت وقت حلول الساعة فالامر سهل، قال تعالى: ﴿وماامر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب﴾[3] ويأمر بالنفخ في الصور فينفخ الملك فيه فيموت كل ذي روح وتبقى الدنيا خالية، ويقال مدة اربعين سنة، واذا جاء وقت البعث بامره بالنفخ فيه ثانيا تعود الارواح الى الابدان كلها، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا، هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[4].

---

(١) رواه البخاري جـ١٣/٧٧ ـ ٧٨ وبنفس الاسناد ساقه في كتاب الرقاق جـ١١/٣٠٣ بهامش فتح الباري. وأوله (لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. .) وفي باب الفتن أوّله (لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان. . .)

(٢) راجع تفسير روح المعاني عند قوله تعالى ﴿يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب﴾.

(٣) آية (٧٧) سورة النحل.

(٤) آية (٥١ ـ ٥٢) سورة يس.

وبيـان ذلـك ان الارواح حادثـة ، اي انهـا موجودة فخلقها الله سبحانه وتعالى ثم تعلقت بالاجساد قبل الولادة فتبقى العلاقة الكاملة الى الموت ، والعلاقة تضعف اذ ذاك نوعـا ما الى نهـايـة عالم البـرزخ وحلول العـالم الثـاني ، فيجمـع الله تعـالى اجزاء البدن كلها وتتعلق بها الروح كما كانت ، فيسـاق النـاس الى ارض المحشـر، قال تعالى : **﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾**[1] .

وجـاء في سوق النـاس الى المحشـر روايـات ، والـواقـع انـه يختلف باختـلاف الناس كفرا وايمانا ، والمؤمنين بحسب الدرجات طاعة وعصيانا، والابـدان التي تعـود اليهـا الارواح في الآخـرة مركبـة من الاجزاء الاصلية الرميمة،لقوله تعالى : **﴿قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم﴾**[2] ومن العلمـاء من يقـول انها تتركب من مثل تلك الاجزاء فيما اذا لم تبق بحالها وتحولت الى عناصر اخرى ، واخذ ذلك من قوله تعالى : **﴿او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم﴾**[3]

(١) ـ آية (٢١ ـ ٢٢) سورة ق .

(٢) ـ آية (٧٩) سورة يس .

(٣) آية (٨١) سورة يس.

ومايقال : ان الاجزاء اذا لم تكن عين الاجزاء الموجودة في الدنيا كيف تعذب بلا جريمة، مردود لامرين :

الاول : ان اجزاء البدن لاتبقى في الدنيا بعينها فانها في تدرج التحلل والتبدل دائما كالشعور والاظفار،ولكن الانسان لايشعر بذلك .

والثاني : ان اجزاء البدن كاللباس ،وهي وان كانت معذبة مع الروح في الآخرة لكن عذابها بسبب عذاب الروح وعلاقتها بها، الا ترى عدم الشعور بالالم عند التخدير التام .

وعلى كل حال فالمكلفون من الجن والانس يحشرون على حسب اقدارهم ومستوى ايمانهم واعمالهم في صعيد واحد كما قال تعالى : **﴿قل إنَّ الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم﴾**[1] .

---

١ . سورة الواقعة آية (٤٩ - ٥٠).

(الحشـــر)

واعلم ان النـاس يحشـرون على ماكـانـوا عليه عند الموت ، عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (يبعث كل عبد على مامات عليه)[1] يعني انه من مات على خير بعث على خير ومن مات على شر بعث عليه ، اعاذنا الله برحمته .

والناس في مبدأ البعث والحشر تخيم عليهم الهيبة والمخافة والفزع الا من أمنّـه الله تعـالى وجعله في ظل كرمـه وحشـره مع من احبه من صاحب شريعتـه اوخيـار امتـه ، عن ابي هريـرة رضي الله تعـالى عنه قال : (يحشر النـاس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين ، واثنـان على بعيـر وثـلاثة على بعيـر واربعـة على بعيـر وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتـوا وتقيـل معهم حيث قالـوا وتصبـح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسَوا)[2] رواه الشيخان .

وعن بهــز بن حكيم عن ابيــه عن جده قال : سمعت رســول الله ﷺ

---

١ ـ رواه احمد جـ ٣/٣٤٥ ـ ٣٤٦. في حديث طويل (. . . قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: (يبعث كل عبد في القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه).

قال الهيثمي: ورواه الطبراني في الاوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد جـ ٣/٤٨ .

٢ ـ رواه البخـاري جـ ١١/٣٢٦ . بهـامش الفتـح ومسـلم جـ١٧/١٩٤/١٩٥ والنسـائي جـ ٤/١١٥ من طريق وهيب بن خالد أبو بكر قال حدثنا ابن طاوس عن ابيه .

ورواه احمد جـ ٥/١٦٥ والنسائي جـ ٤/١١٥/١١٦ من طريق الوليد بن جُميع حدثنا ابو الطفيل عن حذيفة عن ابي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني : (ان الناس. . . .).

ورواه الحاكم ايضاً جـ ٤/٥٦٤ .

يقـول: (انكم تحشـرون رجـالا وركبـانـا وتجرون على وجوهكم)[1] رواه الترمـذي وهـذه الاحوال المذكورة في هذه الرواية الثابتة بعض من احوال المحشـورين، فهي تختلف بالسيء والاسـوء والحسن والاحسن بدرجات كثيرة لايعلمها الا الله تعالى، فان اهل البعث بالاجمال اصناف ثلاثة.

(الموقـف الرهيـب)

السـابقـون واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ولكل فرد من افرادها درجة معينة ونتائجها مذكورة بالاجمال في سورة الواقعة، فكل مايروى من اسباب الراحة والاعتبار او التعب والعذاب والاضطرار فهو ثابت مطابق للواقـع، ونـرجـوا الله تعـالىٰ ان يجعلنا في المرحومين لا المحرومين انه سميع مجيب لدعاء السائلين.

والموقف رهيب مخوف يستوعب الناس الا من شاء الله، يقول تعالى: ﴿يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امريء منهم يومئذ

---

١ ـ رواه احمد من طريق يزيد أنابهـز عن ابيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله اين تأمرني؟ قال: (ههنا)، ونحا بيده نحو الشام، وقال: (إنكم محشورون رجالاً وركبانا، وتجرون على وجوهكم). جـ ٣/٥ والترمذي من لفظ (إنكم....). جـ ٣/٢٩٤ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند، ومن طريق يحيى عن بهز رواه احمد جـ ٥/٥ مع اختلاف يسير في الجزء الاول منه.

ورواه من طريق شـبل بن عبادة وابن ابي بكير ثنا شبل بن عبادة المعنى سمعت ابا قزعة يحدث عن عمرو بن دينار يحدث عن حكيم البهزي.. جـ ٤/٤٤٦ ـ ٤٤٧ مع اختلاف يسير في اللفظ.

شأن يغنيه﴾[1] ويقول: ﴿وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا﴾[2] ويقول: ﴿وعَنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾[3]:

وقد ذكر العلماء المحققون اخذا من الجمع بين نصوص الآيات والاحاديث الشريفة ان الرهبة والخوف وان عَمّا كل مؤمن لكن العذاب المهين المحقر الذي خرج عن العادة انما هو بالنسبة الى الكفار باصنافهم والى اهل الضلال والفسوق من المؤمنين، لان هناك من الادلة مايطمئن القلب ويريح النفس. من جملتها ان احوال الموقف يمر على المحبوبين كزمان صلاة فريضة صلاها في وقتها بأدب وسلامة ،فنسأل المولى اللطيف الرؤوف الرحيم ان يجعلنا منهم بفضله وكرمه انه قريب مجيب.

وكما روي من نجاة السابقين واصحاب اليمين والصالحين وان من الناجين السبعة الذين يجعلهم الله تعالى في ظل رحمته يوم لاظل الا ظله وغير ذلك من اهل السعادة المرحومين،روي ان الشمس تدنو من رؤوس الخلايق ليتعذب بحرارتها من اراد عذابها من الثقلين وان كل ذلك حق لاشبهة فيه والحكم يختلف بالنسبة الى المحكومين. فان قلت

---

١ ـ سورة عبس آية (٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧).

٢ ـ سورة طه آية (١٠٨).

٣ ـ سورة طه آية (١١١).

كيف يجمع بين ذلك وبين ماثبت من تكوير الشمس، وانتشار الكواكب وطي السموات؟ قلت اجابوا عن ذلك بان المقصود من تكوير الشمس تحـويلهـا من مستقـرهـا وتقريبها من القمر، كما قال تعالىٰ: **﴿فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفـر﴾**[1]. او ان المـراد منـه تكـديرها واظلامها وذهاب نورها او تقليله لافناؤها وازالة آثارها، فيجوز ان تبقى على تلك الحالة الى وقت الحشر ووقوف الناس في الموقف وايذاء المحشورين بحرارتها واشعاعها على من شاء الله تعالىٰ، ولله الامر من قبل ومن بعد، والا فمعلوم من النص ان العـالم يوم القيـامـة ينـور بنـور مخلوق من الله تعالىٰ، كما في قوله: **﴿واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب﴾**[2] الآية..

وهناك يطول الوقوف ويمل الناس ويستغيثون الله ويطلبون الشفاعة من اهلها الى ان يفتح الله تعالى باب رحمته ويتجلى بوصف الرحمن الرحيم..

---

١ - سورة القيامة آية (٧).

٢ - سورة الزمـر آية (٦٩).

(الشفـاعــة)

ونعتقد بشفاعة حضرة الرسول ﷺ وسائر الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين .

ففي صحيـح البخـاري عن ابن عمـر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينمـا هم كذلـك استغـاثـوا بآدم ثم بمـوسى ثم بمحمد ﷺ ،وزاد عبـدالله بن صالـح حدثني الليث حدثني ابن ابي جعفر فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخـذ بحلقـة البـاب فيـومئـذ يبعثـه الله مقاما محمودا يحمـده اهـل الجمـع كلهم﴾[1] انتهى نصـا باختصـار السنـد وفي هذه الرواية اختصار من اسامي بعض الرسل عليهم السلام .

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله : ﴿بحلقة البابـ﴾ اي باب الجنـة او هو مجـاز عن القـرب ، والمقـام المحمـود هو الشفـاعـة العظمى التي اختص بها ﷺ وهي اراحة اهل الموقف من اهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

---

١ ـ رواه البخـاري جـ ٦/ ٢٦٥ جـ ٨/ ٣٠٠/ ٥٣٥ جـ ١١/ ٣٤٠/ ٣٤١ بهـامش فتـح البـاري ومسلم جـ ١٧/ ١٩٥ بهامش النووي من طريق عبيد الله اخبرني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ . ومن طريق اخر عن ابي هريرة . عبد العزيز حدثني سليمان عن ثـور بن زيد عن ابي الغيث عنه وعن المقداد بن الاسود من طريق آخر.

ورواه الحاكم من طريق ابن وهيب اخبرني عمرو بن الحارث ان ابا عشـانة المعافري حدثـه انـه سمـع عقبـة بن عامـر الجهني . قال الحـاكم : هذا حديث صحيـح الاسنـاد ولم يخـرجـاه ، ووافقـه الـذهبي . جـ ٤/ ٥٧١ المستـدرك ورواه من طريق آخـر عن ابي سعيـد

وفي فتح الباري في شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري مانصه ووقع في حديث ابيّ بن كعب عند ابي يعلى مانصه(ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر امتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون)[1] انتهى . .

وفيه ان موقف الرسول ﷺ حينئذ عند الصراط وحاصل المقصود انا معاشر المؤمنين نعتقد ان الشفاعة جائزة وواقعة ويدل على جوازها الآيات الكثيرة التي قيدت فيها الشفاعة باذن من الله تعالى ،ولو كانت محالا ما كانت تقيد بالاذن ، فان الامر الممتنع لا ينقلب ممكنا بحال من الاحوال ،والآيات الدالة على نفيها محمولة على الشفاعة للكافرين ،ويدل على وقوعها

الخدري رضي الله عنه. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. جـ ٤/٥٧١. ومن طريق ابن وهب رواه ابن حبان (٦٤٠) رقم ٢٥٨٣ موارد الظمآن. ورواه احمد من طريق ثنا حسن ثنا ابن لهيعة به جـ ٤/١٥٧ ورواه من طريق آخر، اسحاق بن ابراهيم حدثنا النضر بن شميل حدثنا ابو نعامة حدثنا ابو هنيدة البراء بن نوفل حدثنا والان العدوي عن حذيفة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه جـ ١/٤/٥. وهو حديث طويل. ورواه ابن حبان من نفس الطريق (٦٤٢) رقم ٢٥٨٩ موارد الظمآن ومن طريق آخر عن انس رواه احمد جـ ٣/١٧٨ وعن انس ايضا رواه ابن حبان (٦٤٣) رقم ٢٥٩٠ موارد الظمآن وآخر رواه احمد عن المقداد بن الاسود جـ ٦/٣ ورواه ابو يعلى جـ ٤/٣٦٩ المطالب العالية للمحافظ ابن حجر قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عمير وهو ثقة ـ أي رجال ابي يعلىٰ. جـ ١٠/٣٣٥ مجمع الزوائد.

١ ـ المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني جـ ٤/٣٨٣/٤٦٣٥ وهذا قطعة من الحديث واللفظ المذكور في المطالب، (امدحه) بدل (امتدحه) (بالكلام) بدل (في الكلام) (وهو مضروب) بدل (وهو منصوب).

أحاديث كثيرة منها ما نقلناه آنفا ومنها ما رواه جابر ﴿شفاعتي لاهل الكبائر من امتي﴾[1] . .

وثبت على ضوء الأحاديث الشريفة ان لسيدنا محمد ﷺ شفاعات :

الاولى : الشفاعة العظمى ، المعروفة بالمقام المحمود، وهي اراحة اهل الموقف من اهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

الثانية : الشفاعة لاخراج عصاة المؤمنين من النار، ففي صحيح البخاري في آخر الحديث الذي رواه في كتاب الرقاق قوله ﷺ : ﴿فيأتون فأستأذن على ربي ، فاذا رأيته وقعت له ساجدا . فيدعُني ما شاء الله ، ثم يقال لي : ارفع رأسك وَسَل تُعطَهُ قل يُسمَع واشفَع تُشَفَّع ، فَأَرفَعُ رأسي فَأَحْمَدُ ربيّ بتحميد يُعلّمني ، ثم اشفع فيحدّ لي حدًا ثم أُخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا مثله في الثالثة او الرابعة حتى ما يبقىٰ في النار الا مَن حَبِسَهُ القرآن﴾[2] انتهى .

---

١ ـ رواه ابو داود جـ ٤/٢٣٦/٤٧٣٩ والترمذي جـ ٣/٢٩٨ بهامش التحفة طـ الهند كلا من طريق عن انس بن مالك، ورواه ابن ملجة من طريق الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر، ولفظه (شفاعتي يوم القيامة لاهل الكبائر من امتي) ورواه البيهقي من نفس الطريق بسنده. ص ١ كتاب البعث والنشور مخطوط، من غير لفظ (يوم القيامة) .

٢ ـ رواه البخاري من طريق مسدد حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن انس جـ ١١/٣٧٣ وما بعدها بهامش فتح الباري وهو حديث طويل ورواه مسلم من طرق عن قتادة عن انس جـ ٣/٥٣ وما بعدها ورواه من طرق عن ابي هريرة. المصدر السابق بهامش النووي . ومن طريق خالد بن الحرث ثنا سعيد عن قتادة عن انس رواه ابن ماجة جـ ٢/١٤٤٢/٤٣١٢ . ومن طريق حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال اجتمعنا ناس من اهل البصرة فذهبنا الى انس. . .

قال قَتَادة: اي من وجب عليه الخلود والعياذ بالله.

الثالثة: الشفاعة في قوم استوجبوا النار بذنوبهم فلا يدخلونها بشفاعته ﷺ.

الرابعة: الشفاعة لادخال قوم الجنة بغير حساب، عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿وعدني ربي أن يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عتاب مع كل الف سبعون الفا﴾[1] رواه الترمذي بسند حسن

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض اهلها، والله هو الجواد الكريم فقوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: ﴿لا اغني عنك شيئا﴾[2]. وامثال ذلك اما ورد قبل ان يوحى اليه بوجود الشفاعة منه او

جـ ٣٩٦/١٣ البخاري بهامش الفتح. ومسلم جـ ٦١/٣ بهامش النووي. ورواه الترمذي جـ ٢٩٦/٣ بهامش التحفة من طريق عن ابي هريرة وقول قتادة رواه البخاري ومسلم .·. الصفحات السابقة.

٢ - رواه البخاري جـ ٣٥٢/١١ بهامش الفتح من طريق هشيم عن حصين قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: حدثني ابن عباس. ورواه مسلم واحمد والدارمي والترمذي من طرق وبالفاظ وزيادات انظر مسلم شرح النووي جـ ٨٨/٣ وما بعدها وابن حبان، ٦٥٦ موارد الظمآن وما بعدها والدارمي جـ ٣٢٨/٢ والترمذي جـ ٢٩٨/٣ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. واحمد من طرق اخرجها البخاري ومسلم. جـ ١/٦/١٩٧/٢٧١/٣٢١/٤٠١/٤٠٣/٤٥٤ جـ ٢/٣٠٢/٣٥١/٤٥٦ جـ ٤/٤٣٦/٤٤١/٤٤٣ جـ ٥/٢٥٠/٣٦٨/٣٣٥/٤١٣.

٢ - رواه البخاري جـ ٣٥٢/٨ والدارمي بلفظ (... سليني ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا) جـ ٣٠٥/٢ واحمد بلفظ آخر جـ ٢٠٦/١ جـ ٣٥٠/٢.

محمول على الزجر.

(الســـؤال)

ونعتقد ان الله تعالى يسأل عباده المكلفين عن اعمالهم، وانه يسئل الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿**يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب**﴾[1]، يسألهم الله تعالىٰ عن جواب المكلفين للرسل، واجابتهم لهم في التكاليف فينفون العلم عن انفسهم ويحيلونه الى ذاته العليم الخبير، اما لدهشتهم بتجلي الرب سبحانه وتعالىٰ بالرهبة، او لان الله عالم باحوالهم وهو ارحم الراحمين فلا يرضيهم ان يذكروا معاصي العباد.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنـــه قال: قال رســـول الله ﷺ: (ما منكم من احد الا سيكلمه الله ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة)[2] رواه الشيخان والترمذي وعن ابي بردة الاسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم افناه وعن عمله فيما فعل وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيم

---

١ ـ آية (١٠٩) ســورة المائـدة.

٢ ـ رواه البخاري جـ ١١/ ٣٥٠ من طريق حفص حدثنا الاعمش حدثني خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ: ورواه في جـ ١٣/ ٣٩٧ وابن ماجة من طريق وكيع عن الاعمش عن خيثمـة عن عدي. جـ ١/ ٦٦/ ١٨٥ . والتـرمـذي من طريق هناد عن الاعمش. جـ

ابلاه)[1]. رواه الترمذي.

صحف الاعمال والميزان

ونعتقد بان العباد المكلفين يؤتون صحف اعمالهم، لقوله تعالى ﴿**فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقراؤا كتابية اني ظننت اني ملاق حسابية فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أُوتَ كتابيه ولم أَدرِ ما حسابيه**﴾[2].

عن انس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: ﴿هل تدرون مِمَّ اضحك، قلنا: الله ورسوله اعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال: يقول: بلى قال: فيقول: فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال: فيختم على فيه، فيقال

٣/ ٢٩٠ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. واحمد من طريق عبد الرحمن وابن جعفر قالا ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن خيثمة.

وعبد الرحمن وابن جعفر قالا ثنا شعبة عن محل بن خليفة قال: عبد الرحمن سمعت عدي بن حاتم. جـ ٤/ ٢٥٦. ورواه البخاري من طريق اسامة عن الاعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم جـ ١٣/ ٣٦٢ فتح الباري.

١ ـ رواه الترمذي عن ابي برزة الاسلمي جـ ٣/ ٢٩١ بهامش تحفة الاحوذي ورواه بلفظ قريب منه جداً.

(٢) آية (١٨ ـ ٢٦) سورة الحاقة.

لاركـانـه انطقي قال: فتنطق باعمـالـه قال: ثم يخلى بينـه وبين الكلام فيقول بُعْداً لَكُنَّ وسحقا فعنكن كنت اناضل﴾[1]. رواه مسلم.

ونعتقد ان الميزان حق قال تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئـا وان كان مثقـال حبـة من خردل آتينـا بهـا وكفى بنـا حاسبين﴾**[2] والوزن وكيفيته موكول الى علم العليم الخبير.

ولا يجب علينـا ان نعلم ان نفس الاعمـال توزن او صحـائفهـا او انهـا تبدل باجرام لها وزن وان الميزان هناك كالميزان في الدنيا اولا.

وعنـدنـا موازين للحـرارة والبـرودة ولضغط الدم وللانواء الجوية ولثقل الاشياء وخفتها.

وظـاهـر الحـديث الشريف ان للميزان هناك كفتين احدهما للحسنات والاخـرى للسيئـات ويجـوز ان يبقى على ظاهـره لانـه امـر ممكن اخبر به الصادق ولا موجب للعدول عنه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلايق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله: اتنكـر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول، لا يارب فيقول: أفَلَكَ عذر فيقول لا يارب فيقول: بل ان لك عنـدنـا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها اشهـد لا الـه الا الله واشهـد ان محمـدا عبـده ورسوله، فيقول احضر وزنك فيقـول: يارب ماهـذه البطـاقـة مع هذه السجلات؟ فقال: انك لا تُظلم فتوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا

---

١ - رواه مسلم جـ ١٨/١٠٤/١٠٥.

(٢) - سورة الانبياء آية (٤٧).

يثقل مع اسم الله شيء)[1] رواه الترمذي.

ونعتقد بالصراط، وهو قنطرة ممتدة على النار بعد ان ينتهي الناس من المحاسبة والميزان يؤمرون بالمرور عليه فاهل النار يقعون فيها واهل الجنة يمرون عليها على اختلاف درجات السرعة ولكن ينال بعضهم شدائد نسأل الله السلامة عنها. عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بعد حديث طويل رواه البخاري في الرقاق ﴿ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم احد يومئذ الا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم﴾[2] رواه الشيخان.

---

١ ـ رواه الترمذي واحمد من طريق ابن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن ابي عبد الرحمن الحُبَلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ: . . . الترمذي جـ ٣/٣٦٧ بهامش تحفة الاحوذي طـ الهند ومسند الامام احمد جـ ٢/٢١٣.

٢ ـ رواه البخاري ومسلم واحمد من طرق عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن ابي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث طويل أوله حديث رؤية الله تبارك وتعالى. فتح الباري جـ ١١/٣٨٧/٣٨٨/٣٨٩. جـ ١٣/٣٥٧/٣٥٨/ ومسلم جـ ٣/١٧/١٨/١٩. بهامش شرح النووي واحمد ٢/٢٧٥/٢٩٣/٥٣٣ ومن طريق عبد الرحن بن اسحاق ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه جـ ٣/١٦ وعن ابي سعيد ايضا من طريق ابي بكر بن عياش عن الاعمش عن ابي صالح عنه جـ ٣/١٦ ومن طريق هيثم ثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن ابي هريرة. جـ ٢/٣٦٨/٣٦٩. ولفظ البخاري قال أناس: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب)؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب)؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: (فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس) فيقول: (من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقىٰ هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها. . . .) ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: (فاكون اول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ غير أنها لا يعلم

وروى مسلم في الايمان عن ابي هريرة وعن حذيفة رضي الله تعالى عنهما انه ﴿ترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمروا أو لكم كالبرق قال: قلت: بأبي انت وامي اي شيء كمر البرق قال الم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم اعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: يارب سلم سلم، حتى تعجز اعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع الا زحفا، قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة باخذ من امرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار﴾[1] اي فالمخدوش من المتقين والمكدوس من الظالمين. وقوله ﷺ ﴿ترسل الامانة والرحم﴾ معناه تقوم الامانة والرحم في صورة شخصين فتقفان على حافتي الصراط تشهدان لمن قام بحقهما وعلى من لم يقم به وذلك لعظم امرهما..

الحوض المورود

ونعتقد ان الحوض المورود حوض الرسول ﷺ يرد عليه مع امته، روى البخاري ان رسول الله ﷺ قال: ﴿حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابدا﴾[2]

عظمها الا الله فتخطف الناس باعمالهم....):

١ - رواه مسلم جـ ٣/٧١ - ٧٢ بهامش النووي.

٢ - روي هذا الحديث عن اكثر من صحابي ومن اكثر من طريق. انظر البخاري جـ ٨/٥٦٢ جـ ١١/٤٠٨ وما بعدها بهامش فتح الباري ومسلم جـ ٣/١٣٥ جـ ٤/١١٣ جـ ١٥/١٦١ وابو داود جـ ٤/٢٣٧ رقم ٤٧٤٧ والترمذي جـ ٣/٢٩٩ بهامش التحفة ط الهند. واحمد جـ ٢/١٦٢/١٦٣/١٩٩ جـ ٣/٢٦ وابن حبان ٦٤٦ رقم ٢٦٠٠، ٢٦٠١، ٢٦٠٢، ٢٦٠٣، ٢٦٠٤، ٢٦٠٥. والبيهقي في البعث والنشور ٢٥ - ٢٦ وما بعدها مخطوط. ورواه البزاز والطبراني في الاوسط مجمع الزوائد جـ ١٠/٣٦٠ وما بعدها واحمد جـ ٣/١٠٢/٢٢٠.

الخلود للمؤمنين في الجنة
وللكافرين في النار

ونعتقد ان الكافرين مخلدون في جهنم وان المؤمنين مخلدون في الجنة، لكن المطيعين بدون العذاب والعصاة غير المعفويين بعد تعذيبهم بقدر الاستحقاق، لما ثبت انه يخرج من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان..

وان الله تعالى يثيب المطيعين فضلا ورحمة، **والا فاعمالنا لاتكافيء** الجنة ونعيمها، **فان الاعمال مغشوشة ناقصة والدرجات كاملة خالصة والاعمال مقدار محدود والنعيم مؤبد غير محدود وفوق الجنة ونعيمها لقاء** الله تعالى فيها، قال تعالى: ﴿**للذين احسنوا الحسنى وزيادة**﴾[1] وإنّ القصاص والانتقام من الكفار والاشرار عدالة وحكمة لان اعتقاد الكفر جناية بلا نهاية والاعمال الفاسدة زائدة على تلك الجناية وقد قال تعالى: ﴿**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشأ**﴾[2].

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: ﴿من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قَبلِ ان يُؤخذ لاخيه من حسناته، فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه

---

١ - سورة يونس آية (٢٦)

٢ - سورة النساء آية (٤٨)

فطرحت عليه﴾[1] رواه الشيخان.

وهذا الانتقام كما ينفذ على عقلاء المكلفين ينفذ على البهائم، اذ ثبت انه (يُقاد من الشاة القرناء للشاة الجلحاء)[2]، ونعتقد ان سقر دار العذاب وعليها من الزبانية تسعة عشر.

وقد ذكر بعض في سر ذلك العدد انه عدد اصول الذنوب، وان الجنة لها خزنة واسم رئيسهم رضوان كما ان اسم رئيس زبانية سقر مالك قال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون﴾[3].

---

١ - رواه البخاري جـ ٥/٧٣ بهامش الفتح حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا ابن ابي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ. ورواه مسلم من وجه آخر بمعناه وهو اوضح سياقا من هذا اللفظ. حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حُجْر قالا حدثنا اسماعيل عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه. ولفظه (أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قَبْل ان يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار). مسلم جـ ١٦/١٣٥/١٣٦ بهامش النووي. واحمد جـ ٢/٤٣٥/٥٠٦ من طريق ابن ابي ذئب عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه ومن الوجه الذي ذكره مسلم اخرج الترمذي جـ ٣/٢٩١ بهامش التحفة ط الهند.

٢ - رواه احمد جـ ١/٧٢ من طريق، حدثني عباس بن محمد وابو يحيى البزار قالا ثنا حجاج بن نصير ثنا شعبة عن العوام بن مراجم من بني قيس بن ثعلبة عن ابي عثمان النهدي عن عثمان ان رسول الله ﷺ قال: (ان الجماء لتقص من القرناء يوم القيامة). ومن طريق عبد الصمد حدثنا حماد عن واصل عن يحيى بن عقيل عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: (يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء والذرة من الذرة) جـ ٢/٣٦٣، ورواه ايضا من طريق آخر بلفظ آخر عن ابي هريرة رضي الله عنه. (حتى يُقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء....). جـ ٢/٢٣٥.

٣ - سورة الزخرف آية (٧٧).

(اهل الفترة ناجحون)

ونعتقد ان اهل الفترة كما[1] بين سيدنا اسماعيل عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ من العهد الاخير الذين لم تبلغهم الشريعة غافلون عن التكليف، قال تعالى خطابا للحبيب الاكرم ﷺ: ﴿لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون﴾[2] فلا يعذبون لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[3].

وان الذين يضلون العباد الضعفاء يجزون مضاعفة ،لقوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾[4] ولقوله ﷺ (من سنَّ سنَّة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سنَّ سنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)[5].

---

١ ـ الكاف اشارة الى كل قوم لم يبلغهم نداء الرسل للايمان في اي عصر كان كما قال الامام العزالي رحمه الله تعالى.

٢ ـ سورة يس آية (٦).

٣ ـ سورة الاسراء آية (١٥).

٤ ـ سورة الاحزاب آية (٦٧ ـ ٦٨).

٥ ـ اخرجه مسلم من طريق المنذر بن جرير عن ابيه من حديث طويل بلفظ (.. من سَنَّ في الإسلام سنة حسنةً فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيْ، ومن سَنَّ في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيْ) جـ ٧/١٠٣/١٠٤ ومن طريق عبد الرحمن بن هلال العبسي عن جرير بن عبد الله ـ أي البجلي ـ جـ ٧/١٠٤/١٠٥. ولم يروه البخاري وانما ترجم له ترجمة

الجنة والنار موجودتان الآن

ونعتقد ان الجنة والنار موجودتان الآن، وذلك لادلة:

الاول: النصوص الدالة بظواهرها على وجودهما، كقوله تعالى: ﴿اعدت للمتقين﴾[1] ﴿اعدت للكافرين﴾[2] ولا مانع من اعداد منازل للنازلين قبل ورودهم، وقوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾[3].

فقال: (باب إثم من دعا الى ضلالة وسنَّ سنة سيئة)، جـ ١٣/٢٥٦ بهامش فتح الباري. ومن طريق مسلم الاول رواه النسائي بلفظ (من غير ان ينقص من اجورهم شيئا) في المرتين. جـ ٥/٧٥/٧٦. وابن ماجة جـ ١/٧٤ رقم ٢٠٣ واحمد جـ ٤/٣٥٧/٣٥٨. ومن طريق عبد الرحمن المتقدم رواه الدارمي جـ ١/١٣١.

ومن طريق آخر عن جرير رواه احمد جـ ٤/٣٦٠ ومن طريق شقيق عن جرير رواه الدارمي جـ ١/١٣٠ ومن طريق ابي وائل عنه رواه احمد جـ ٤/٣٦١ وهناك طريق آخر والفاظ مختلفة ولكنها متقاربة جداً.

١ ـ سورة آل عمران آية (١٣٣).

٢ ـ سورة البقرة اية (٢٤).

٣ ـ سورة النجم اية (١٣ ـ ١٤ ـ ١٥)

الثاني الحديث الوارد في موضوع صلوة الكسوف الذي جاء في صحيح البخاري قالوا يارسول الله:رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك كعكعت (اي تأخرت) قال ﷺ: (اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه مابقيت الدنيا، واريت النار فلم أرَ منظرا كاليوم قط افظع)[1]. ولا شبهة في ان رؤيته ﷺ لهما كانت رؤية حقيقية لمنزلين موجودين.

الثالث: قضية اسكان آدم وزوجه في الجنة، وسذهب الجمهور ان هذه الجنة هي دار الثواب، ودليل ذلك ان الالف واللام في لفظ (الجنة) لا يفيد ان العموم، لان سكون جميع الجنان محال، فلابد من صرفها الى المعهود السابق. والجنة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها.

ويؤيد ذلك ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾[2] فان ظاهرها انها مكان ليس فيها العوارض العارضة على البشر من الجوع والعرى وكذا لا حرارة فيها تسبب العطش ولا اثر لبروز الشمس فيه بحيث توجب الملال وما رأينا ولا تسمعنا بوجود بقعة في الارض تتحقق فيها تلك الاحوال، والله اعلم..

---

١ - رواه البخاري من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو حديث طويل في صلاة الكسوف. جـ ٢/٤٤٧. وابو داود بنفس الطريق إلا انه ذكر مقدمة الحديث. (خسفت فصلى رسول الله ﷺ..) جـ ١/٣٠٩/١١٨٩. سنن ابي داود. ورواه مسلم من طريق آخر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، بالفاظ قريبة منه جـ ٥/٢٠٧ بهامش النووي.

٢ - سورة طه اية (١١٨، ١١٩).

ونعتقد ان الجنة دار الثواب للمطيعين وان الجحيم دار العقاب للكافرين والعصاة من الكلفين، وان مكانهما لم يرد في تعيينه نص صريح لكن الظاهر من الكتاب والسنة ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش، بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾[1] ، وما روى عن عبادة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: (في الجنة: مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش، فاذا سئلتم الله فسلوه الفردوس)[2] رواه الترمذي والبخاري. ومعلوم ان مكانا كذلك لاتسعه الارض ولا اجواف السماوات

---

١ ـ سورة النجم آية: (١٣، ١٤، ١٥).

٢ ـ رواه البخاري من طريق فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها) قالوا يا رسول الله أفلا نبئ الناس بذلك؟ قال: (إنّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض، فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة...) جـ ١٣/ ٣٤٩ جـ ٦ /٩. ورواه احمد من الطريق نفسه إلا انه قال: عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن ابي هريرة بدل عطاء بن يسار، قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر: وهو وهم من فليح حال تحديثه لابي عامر - اي لابي عامر عن فليح - فابدل عطاء بعبد الرحمن. انظر فتح الباري جـ ٦/ ٩ ومسند احمد [illegible] ٢/ ٣٣٥ [illegible] احمد من طريق محمد بن جحادة عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله [illegible] جـ ٢/ ٢٩٢ والترمذي جـ ٣/ ٣٢٥ بهامش التحفة بلفظ (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام). ورواه الترمذي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل بنفس لفظ البخاري جـ ٣/ ٣٢٥ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. وابن ماجة جـ ٢/ ١٤٤٨ رقم ٤٣٣١. وللتوفيق بين الروايات راجع فتح الباري جـ ١٣/ ٣٥٠.

فيكون فوقها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين﴾[1]. وما رويناه من حديث الكسوف يناسب التقارب بين مح الجنة والنار، والله اعلم بحقيقة الحال.

واما اوصاف جنهم فقد قال تعالى في ذكرها: ﴿لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾[2] وقال: ﴿كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى﴾[3] وقال: ﴿ترمي بشرر كالقصر كانه جمالة صفر﴾[4] والآيات في قطاعه عذاب النار وشدتها كثيرة غنية عن البيان.

وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه انه قال وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ان اهون اهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)[5].

---

١ - سورة آل عمران آية (١٣٣).

٢ - سورة الحجر آية (٤٤).

٣ - سورة المعارج آية (١٤، ١٥، ١٦).

٤ - سورة المرسلات آية (٣١، ٣٢).

٥ - رواه البخاري ومسلم واحمد من طريق شعبة قال سمعت ابا اسحق قال سمعت النعمان بن بشير سمعت النبي ﷺ جـ ١١/٣٧٢. بهامش فتح الباري ومسلم جـ ٣/٨٥ بهامش النووي واحمد جـ ٤/٢٧١ واللفظ المذكور لمسلم ولفظ البخاري (توضع جمرة) ولفظ احمد (يجعل في اخمص قدميه نعلان من نار..). ورواه احمد بمثل لفظ مسلم وبنفس الطريق جـ ٤/٢٧٤. ورواه مسلم من طريق الاعمش به وبلفظ (ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى ان أحداً أشد منه عذابا وإنهُ لأهونهم عذابا). جـ ٣/٨٤.

واما اوصاف الجنة. فقد قال تعالى: ﴿فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون﴾[1] وقال ﷺ: (فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[2].

ورواه البخاري من رواية اسرائيل عن ابي اسحق عن النعمان بلفظ (.. رجل على اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم). جـ ١١/٣٧٣ بهامش الفتح، والقمقم: اناء من نحاس ضيق الفتحة يُغلى به الماء.

ومن طريق ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ (.. من عليه نعلان يغلي منهما دماغه) رواه احمد جـ ٢/٢٧٤ والدارمي لكن بلفظ (له). جـ ٢/٣٤٠. ورواه مسلم من طريق يحيى بن أبي بُكير حدثنا زهير بن محمد عن سُهيل ابن ابي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن ابي سعيد الخدري. بلفظ (إنَّ أدنى اهل... يغلي دماغه من حرارة نعليه). جـ٣/٨٥ بهامش النووي وعن ابن عباس من طريق عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن ابي عثمان النهدي عنه. بلفظ (إنَّ أهون اهل النار ابو طالب وهو منتعل بنعلين...) جـ ٣/٨٥ مسلم. ورواه ابن حبان من رواية الليث بن سعد عن ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ الدارمي المتقدم. ٦٥٠ رقم ٢٦١٧ موارد الظمآن.

١ - سورة الزخرف آية (٧١).

٢ - رواه البخاري ومسلم من طريق سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: ﴿اعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤا ان شئتم، فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرَّة أعيُن﴾. جـ ٦/٢٣٠ بهامش الفتح ومسلم جـ ١٧/١٦٥/١٦٦ بهامش النووي ورواه مسلم من وجه آخر عن ابي الزناد بلفظ قال الله عز وجل: ﴿ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما اطْلَعكم عليه﴾. جـ ١٧/١٦٦ ورواه مسلم واحمد جـ ٥/٣٣٤ طريق ابن وهب حدثني ابو صخر أن أبا حازم حدَّثه قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول: مع اختلاف يسير جدا. ومن طريق أبي معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه. رواه مسلم جـ ١٧/١٦٦ وابن ماجة جـ ٢/١٤٤٧ رقم ٤٣٢٨. ورواه مسلم من طريق ابن نُمير به. جـ

وكفى في وصفها انه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا مرض ولا حزن ولا خوف ولا مايزعج الانسان ولا ملال من الاقلال وفيها مايطلبه الانسان من الجمال.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ يقول: (ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: (جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفَسَ)[1].

واما ابوابها فثمانية، عن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (في الجنة ثمانية ابواب فيها باب يسمى الريان لايدخله الا الصائمون..)[2] واما

١٦٦/١٧. ورواه الدارمي من طريق آخر جـ ٢/٣٣٥ ومسلم من وجه آخر عن ابي الزناد عن ابي هريرة رضي الله عنه. جـ ١٦٦/١٧.

١ ـ رواه مسلم من طرق متعددة وبلفظ (يُلْهَمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس) وفي رواية (التسبيح والتحميد والتكبير). من طريق جرير عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر ومن طريق ابي معاوية عنه ،ومن طرق اخرى وكذلك رواه الدارمي من طريق آخر بلفظ (يلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النفس). جـ ٢/٣٣٥. ورواه البخاري بغير هذه الالفاظ من حديث: (اول زمرة تدخل الجنة.... لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون) الى هنا جـ ٦/ ٢٣٠/٢٦٠ بهامش فتح الباري.

٢ ـ رواه البخاري من طريق ابي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ان في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخله منه أحد غيرهم....) جـ ٤/٩٥ فتح الباري ورواه من نفس هذا الوجه جـ ٦/٢٣٥ باللفظ الذي في اصل الكتاب ورواه مسلم جـ ٧/٣٢ بهامش النووي وابن ماجة جـ ١/٥٢٥/١٦٤٠. والدارمي من طريق آخر ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن ايوب عن ابي رافع عن ابي هريرة جـ ٢/٣٣٢ رواه من غير ذكر اسم باب الريان والصائمين. ورواه احمد من طريق آخر من غير ذكر الصائمين واسم الباب جـ ٥/٣٢٥. وروى البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال:

انهارها فقد قال تعالى : ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ [1] الآية .

واما ثمار شجراتها وظلالها فدائم فقد قال تعالى : ﴿ اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ [2] **واما نصيب اهل الجنة من الجنان فقد قال تعالى : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [3] **وما صفاء القصور فمن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل مابينهم) . .**

قال رسول الله ﷺ : (إذا كان يوم القيامة دُعي الانسان باكثر عمله، فان كانت الصلاة افضل دُعي بها، وان كان صيامه دُعي به، وان كان الجهاد دُعي به، ثم يأتي بابا من ابواب الجنة يقال له الريان يُدعى منه الصائمون)، قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله : أثم أحد يُدعى بعملين؟ قال : (نعم أنت). مجمع الزوائد قال الحافظ نور الدين الهيثمي : إسناده حسن .

١ - سورة محمد ﷺ آية (٣٥).

٢ - سورة الرعد آية (١٥).

٣ - سورة الرحمان آية (٤٦).

قالوا: يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم، قال: ﴿بلى والذي نفسي بيده رجال آمنو بالله وصدقوا المرسلين﴾[1] رواه الشيخان والترمذي.

* الكـوثـــر *

واما الكوثر فهو نهر مختص بسيدنا محمد ﷺ، فعن انس رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ عن الكوثر فقال ﷺ: (ذاك نهر اعطانيه الله عز وجل في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور اعناقها كأعناق الجزر) قال: عمر ان هذه لناعمة، قال رسول الله: (أكلتها أنعم منها)[2].

---

١ ـ رواه البخاري جـ ٦/٢٣٣ من رواية عبد العزيز قال حدثني مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه. ومسلم جـ ١٧/١٦٩ من رواية ابن وهب اخبرني مالك بن انس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد. ومن رواية فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه جـ ٣/٣٣٥ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند واحمد جـ ٢/٣٣٥/٣٣٩ وابن حيان من رواية ايوب بن سويد حدثنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد. موارد الظمآن (٦٥٦) ٢٦٤٠ وليس فيه من الوهم شيء كما قال الدرقطني بل له اصل من حديث سهل عند مسلم جـ ١٧/١٦٨/١٦٩. بهامش النووي، وذكره ابن حيان من رواية بشر بن الفضل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن ابي حازم. (٢٦٤١). موارد الظمآن. وذكره الدارمي من رواية مسلم بن ابراهيم وهيب ثنا ابو حازم عن سهل. جـ ٢/٣٣٦.

٢ ـ روي هذا الحديث من طرق وبالفاظ متعددة انظر البخاري جـ ٨/٥٦٢/٥٦٣. بهامش الفتح ومسلم جـ ٣/١١٢/١١٣ بهامش النووي والترمذي جـ ٣/٢٩٩ بهامش تحفة الاحوذي ط الهند والدارمي جـ ٢/٣٣٦. وابن حبان (٦٤٦) رقم ٢٦٠٠ وما بعدها واحمد جـ ٦/٢٨١.

واللفظ المذكور ذكره الإمام أحمد في مسنده جـ ٢/٢٢٠ فقال عمر رضي الله

وانعم من ذلك كله صحبة الاحباب وزيارة الاصدقاء والأمان من الآفات وعروض الممات والابتلاء بالمعاصي والسيئات وانتفاء الهموم والحسرات وتيقن الخلود في تلك الجنات مع الاهل بالتمكين ووفود الحور العين والخلاص من مكايد الشيطان اللعين والاستغراق في اللذة الروحية الانس بالله تعالى ابد الابدين.

* الرؤية *

وفوق كل ذلك لقاء الله تعالى في الجنة والتشرف برؤيته تعالى، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾[1] وقال ﷺ: هل تضامون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: (لا قال انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)[2] وكما انها ثابتة نقلا فكذلك جائزة عقلا، اذ لابد للمعلول المشترك من علة مشتركة، ولما علمنا انه يرى الجواهر والاعراض على اختلاف اصنافها علمنا ان العلة القابلة لهذه الرؤية ليست الجوهرية فقط ولا العرضية، بل هي الموجودية والوجود كما يتحقق في الجواهر والاعراض يتحقق في الباري سبحانه وتعالى فيرى ذلك كما ترى هذه، والآيات التي تدل على عدم رؤيته تعالى كقوله الكريم: ﴿لا تدركه

عنه: . . . . . وذكر من طريق آخر جـ ٢/٢٣٦ فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله: انها لناعمة . . . . .

هذا واحاديث الحوض مع طرقها والكلام عن طرقها وسندها قد يبلغ عشرات الصفحات من القطع المتوسط.

١ ـ آية (١٠٣) سورة الانعام.

٢ ـ آية (١٥) سورة المطففين.

الابصار وهو يدرك الابصار﴾[1] محمولة على الرؤية المستوعبة او الكاشفة بالوجه الكامل او على الرؤية في هذه الدنيا او على رؤية الكفار له تعالى للجميع بين الادلة، ولقوله تعالى ﴿كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾

ودعوى وجوب تحقق شرائط الرؤية من المقابلة والمسافة المعتدلة وانطباع صورة المرئي في الرأي وغيرها هناك شرائطها في الشاهد وقياس الغائب عليه قياس مع الفارق، فلعل شرائط الادراك **البصري في ذلك العالم الباقي غير شرائطه هنا ألاترى، ان حياته تعالى وعلمه وسائر صفاته ليست على نظام تلك الصفات في الشاهد، فلا تحتاج حياته الى ماتحتاج اليه حياتنا ولا علمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه الى الشرائط المقررة لها عندنا، مع ان تلك الصفات موجودة له بلا شبهة . .**

ويجب ان نعتقد بان نعمة لقاء الباري تعالى في الجنة اعظم نعمة في عالم الوجود واكبر سعادة فيه، رزقنا الله تعالى ذلك بفضله انه جواد كريم ورؤوف رحيم .

---

١ - سورة القيامة آية (٢٢).

٢ - رواه البخاري جـ ٣٥٦/١٣ جـ ٣٨٧/١١ جـ ٤٣/٢٧/٢ جـ ٤٥٨/٨ بهامش الفتح ومسلم ٢٥/٣ وما بعدها بهامش النووي والترمذي جـ٣٣٣/٣ بهامش التحفة ط الهند وابن ماجة ٦٣/١ رقم ١٧٨ ١٧٩ . . . . والدارمي جـ ٣٢٦/٢ وابو داود جـ ٤٧٢٩/٢٣٣/٤ واحمد جـ ٢٩٣/٢ /٥٣٤/٢٩٦ جـ ٣/ ١٧/١٦ والحاكم في المستدرك ٥٨٢/٤ وانظر مجمع الزوائد جـ ٤٢١/١٠ والطبراني جـ ٢٢٣٤/٢٩٦/٢ المعجم الكبير بنفس الطريق الذي ذكر ابو داود الا ان ابا داود ذكره بلفظ (لا تضامّون). أي لا تجتمعون، وبالتخفيف أي لا تظلمون فيراه بعضكم دون بعض فانكم ترونه في جهاتكم كلها، وهو تعالى متعال عن الجهة، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون المرئي، تعالى الله عن ذلك. راجع فتح الباري جـ ٣٥٧/١٣.

* خاتمة *

مما يجب على الانسان الرشيد ان يعتقد ان عالم الاخرة مغاير لعالم الدنيا فلا مجال للمقايسة بينهما، فان هذا العالم عالم الفناء وذلك عالم البقاء، هذا عالم مؤقت محدود وذلاك عالم مؤبد موصوف بالخلود، وهذا العالم مضيء بالشمس والقمر والنجوم والمصابيح المتحركة الغير الثابتة وذلك العالم يستنير بنور الله تعالى، اي بنور يخلقه الله تعالى الى الابد، كما قال: ﴿واشرقت الارض بنور ربها﴾[1] وهذا العالم مع ان الحياة فيه موقتة، كذلك ممزوج بالامراض والاسقام والوفيات والمفارقات والاحزان وخوف الاعداء وتفاقم المحنة والبلاء، وعالم الآخرة بريء عن كل ذلك، فليس فيه الا الراحة والاطمئنان وفراغ الجنَان والفراغ من كل اذى يأتي على الانسان، حتى ان الاكل والشرب في هذا العالم يعود على الانسان وبَالاً ويورث الانسان وجعاً وملالاً، وعالم الاخرة يحول الغذاء والشراب الى ما يفيد اللذة والارتياح وافرازات الانسان تكون برشحات عرق كعطور الريحان، وفي ذلك العالم الوصول الى الاحباب بلا تعب ولا نصب حسب الارادة، وليس فيه مانع عن المستحبات النفسية حسب العادة، ثم القوى المادية تختلف في العالمين فان مادة الانسان عاجزة عن البقاء فوق المعتاد ولكنها في الآخرة تبقى خالدة قوية، لأن القرآن حاكم بخلود أهل الجنة وبخلود النعيم والثمرات

---

١ - آية (٦٩) سورة الزمر.

فيقول: ﴿اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾[1] وان رؤية الانسان لغيره محدودة المسافة وشرائطها واجبة وكذلك صوته، ولكنه في الآخرة يرى اصحاب الجنة اصحاب النار وبالعكس، كما انه يصل صوته الى من يناديه مع بعد المسافة، وكذلك التزاور بين اهل الجنة مع الفرق بين درجات اهلها بمسافات، كما في قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا﴾[2] واهل الجنة طلقاء في العالم ويصل كالبرق بعضهم الى بعض، كما يظهر من مرور المسلمين على الصراط حسب قوله ﷺ: (ومنهم من يمر كالبرق الخاطف)[3] فلا يقاس ذلك العالم واهله على هذا العالم واهله، ولا مناسبة بين العالمين، وذلك كله ظاهر عند من يؤمن بالآيات والاحاديث الواردة في البحث عن اللذات والراحة لاهل الجنة وعن قابلية الابدان للعذاب في النار، والعياذ بالله، فلكل من العالمين نواميس وقواعد غير ما للعالم الاخر.

فارض المحشر اذا كانت هذه الارض يمكن وصول اهلها الى الجنة فان قوة الجواذب تعمل حسب ارادة الباري فلا يبقى فرق بين السموات وما فوقها والارض وما تحت الثرى وكل ذلك من نفوذ قوة الباري تعالى:

---

١ - آية (٣٥) سورة الرعد.

٢ - آية (٦٩) سورة النساء.

٣ - تقدم ذكره.


مطبعة
الخلود